الفصل الثاني
الغناء الحرام

١ ـ فساد هذا الزمان:

تغيَّرت الحقائق في أذهان الناس اليوم منذ زمن بعيد، وهذا ليس بغريب فقد أخبرنا نبينا ﷺ أنه كلما امتد بالناس الزمان يُعْرِضون عن شرع الله سبحانه وتعالى، ويُحْدِثُون في دينه ما ليس فيه.

فعن العِرباض بن سارية رضي الله عنه قال:

«وَعَظَنا رسولُ اللَّهِ ﷺ مَوْعِظَةً بليغة، وَجَلَتْ منها القلوبُ، وذَرَفَتْ منها العيونُ، فَقُلنا: يا رسول الله، كأنَّها مَوْعِظَةُ مُوَدّع فَأَوْصِنا، قال: أُوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة وإنْ تَأَمَّرَ عليكم عَبْدٌ حَبَشِيّ، فإنه مَنْ يَعِشْ منكم فَسَيَرَى اختلافاً كثيراً، فعليكم بِسُنَّتي، وسُنَّةِ الخُلَفَاءِ المَهْدِيين مِنْ بَعْدِي، عَضُّوا عليها بالنَّواجِذِ، وإياكم ومستحدثاتِ الأُمُورِ، فإنَّ كُلَّ مُحْدثةٍ بِدْعة، وكل بِدْعة ضلالة»[(١)].

ومَنْ أَلْقَى نَظْرَةً حول اختلاف الناسِ في مسألة الغِناء، لَرَأى ما يُحَيِّر العقول، وصار كثيرٌ من الناسِ يَحْلِفونَ بما لا يَعْرفونَ.

وقد نقل الإمام الخلاّل[(٢)] في كتابه **«الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»** عن إمام أهل السُّنَّة الإمام أحمد أنه قال:

«إذا رأيتم شيئاً مُسْتَوِياً مُسْتقيماً فَتَعَجَّبُوا»[(٣)] أي أن الناس يسيرون على الانْحراف والزيغ

---

(١) رواه أحمد في **«المسند»** (٤/ ١٢٦) وأخرجه الترمذي في **«السنن»** (٥/ ٤٤)، (٤٢) ـ كتاب العلم، (١٦) ـ باب ما جاء في الأَخْذِ بالسُّنَّة واجتناب البدَع، الحديث رقم (٢٦٧٦).

(٢) هو الإمام أحمد بن محمد بن هارون، أبو بكر الخلاّل الذي قال عنه الإمام الذهبي: جامعُ عِلْمِ أحمد ومرتبه. مُفَسِّر، عالِم بالحديث واللغة، من كبار حنابلة أهل بغداد، كانت حلقته بجامع المهدي، قال ابنَ أبي يعلى: له التفاسير الدائرة والكتب السائرة توفي عام (٣١١هـ). وانظر ترجمته في **«سير أعلام النبلاء»** للذهبي (١٤/ ٢٩٧) ترجمة (١٩٣)، و **«تذكرة الحفاظ»** له (٣/ ٧٨٥ ـ ٧٨٦)، و **«طبقات الحنابلة»** لابن أبي يعلى (٢/ ١٢ ـ ١٥)، و **«الوافي بالوفيات»** للصفدي (٨/ ٩٩)، و **«النجوم الزاهرة»** لابن تغري بردي (٣/ ٢٠٩)، و **«البداية والنهاية»** لابن كثير (١١/ ١٤٨)، و **«الرسالة المستطرفة»** للكتاني (٣٧ ـ ٣٨)، و **«شذرات الذهب»** لابن العماد الحنبلي (٢/ ٢٦١).

(٣) الإمام أبو بكر الخلال **«الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»** الصفحة (٥٨) باب ما روي في أن ذلك يُسِرّ المؤمن=

والضلال والبلاء، فإذا رأيتم استقامةً في الحياة، فَتَعَجَّبُوا من هذه الاستقامة، كيف لا زال الناسُ يُمْسِكُونَ بها، ويَأخذون بها.

٢ ـ مَفْسَدَةُ الغِناء هي أُمُّ المفاسِد:

إنَّ مفسدة الغِناء الحرام هي مَنْبَعُ الرذائل، وكل مَفْسَدَةٍ تترتّبُ عليها، فإذا أَرَدْنا أن نقضِيَ على المُنْكِرات، فيتحتم علينا تَحَتُّماً لازِماً أن نقضي على الغِناءِ الحرام.

لَنْ يزال في الأُمَّة الإسلامية مُنْكِرات، ومُخَدِّرات، وعُهْر، ولَعْن، وزنى، وفُجُور، وقَتْل أنفس ما دام هذا الغناء يُجَلْجِلُ بين أفرادها، وقد قال الأمير الراشد والخليفة الخامس عمر بن عبد العزيز لِمُعَلِّمِ أولاده:

«لِيَكُن أوَّل مَا يَعْتَقِدُونَ مِنْ أَدَبِكَ بُغْضُ الغِناء، الذي مبدأه من الشيطان، وعاقبته سُوءُ الرحمٰن، فقد حَدَّثني عَدَدٌ مِنْ ثقاتِ العِلْم أنَّ سماعَ المزامير واستماع الغِناء واللهج به يُنْبِتُ النفاق في القَلْبِ كما يُنْبِتُ الماء العُشب»[(١)].

ويقول الإمام ابن القيم في كتابه «**مدارج السالكين**»[(٢)]:

«فكيف يُظَنُّ بالحكيم الخبير أن يُحَرِّم مثْلَ رأسِ الإبرة من المُسْكِر، لأنه يَسُوقُ النَّفْسَ إلى السُّكْرِ الذي يَسُوقها إلى المُحرَّمات، ثم يبيح ما هو أعْظَمُ منه سَوْقاً للنفوس إلى الحرام بكثير»، وهو الغِناء لأن الإنسان لا يشرب الخمر إلاّ إذا غَنَّى.

لا يشرب الخمر قارئُ القُرآن، بل مُدْمِنٌ على المخدرات، ومَنْ يَعْكِفُ على حديثِ النبـي ﷺ لا يعتدي على الأعْراضِ، فهو مَنْ طهر قلبه بشرع الرحمن.

إنما عندما تثور الشهوات في النفوس كأنها براكين نار، يَلْجَأُ الإنسانُ لإطفائها بِمُسْكِرٍ حِسِّيٍّ، أو مُخَدِّرٍ حِسِّي، أو بالاعتداء على أعْراضِ الناس.

ولَنْ يزال في العالم مفاسِد ما دام الغناء الحرام مُنْتَشِراً، وقد قال سيدنا عثمان «اجْتَنِبُوا الخَمْرَ فإنها أُمُّ الخبائِثِ»[(٣)].

فالخمر مفتاح كل الشرور، والغناء الحرام مفتاح الخمر.

وإذا غَنَّى الإنسان سَيَشْرَبُ المـكرات، وسيتعاطى المُخَدِّرات، ولذلك فإنَّ الإصابة

= ويُغيظ المنافق، الحديث رقم (٦٦).

(١) ابن أبـي الدنيا «**ذم الملاهي**» الصفحة (٤٠) الحديث رقم (٢٠)، ونقل عنه ابن القيم في «**إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان**» (١/ ٢٥٠)، وابن الجوزي في «**تلبيس إبليس**» الصفحة (٢٨٩)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٥/ ١٦٠)، وابن رجب الحنبلي في «**نزهة الأسماع في مسألة السماع**» الصفحة (٧٦)، وحديث الغِناء ينبت النفاق في القلب ضعيف راجع جدول الأحاديث الضعيفة والمنكرة في الغناء الملحق بآخر البحث.

(٢) ابن القيم «**مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**» (١/ ٤٩٤).

(٣) رواه البيهقي في «**السنن الكبرى**» (٨/ ٢٨٧)، كتاب الأشربة والحدّ فيها.

بمرض الغناء الحرام أعظم بكثير من الإصابة بالأمراض الخبيثة مِنْ مسُكِرٍ أو مُخَدِّرٍ، لأَنَّ كل ذلك سيزول إذا فَطَمْتَ النفس عن الغِناء.

٣ ـ حَرَّم اللَّهُ الغناء في مكة قبل نزول الفرائضِ (كالصومِ والصلاةِ والزكاةِ):

إنَّ اللَّهَ عندما رَبَّى هذه الأُمَّة، ربَّاهُم على طهارةِ القلوب، فحَرَّم عليهم الغِناء في مكة قبل أن تنزل الفرائِضَ (كالصومِ والزكاة) وقبل أنْ تُشَرَّع الحُدُود، وما حَرَّم اللَّهُ على المسلمين الخَمْر، في المدينة المنوّرة نَوَّرها الله إلاّ من العام الثامِن للهجرة، أي بعد بِعْثَةِ النبي ﷺ بـ (٢١) سنة تُحَرَّمُ الخمر.

أما الغِناء فَحُرِّمَ في بداية الأَمْرِ، لأنَّك إذا فَطَمْتَ النَّفْسَ عن الغِناء، وقُلْتَ له: ابْتَعِد عن الخمر سيقول: سَمْعاً وطاعةً، وإذا ربَّيْتَ القُلُوبَ على الغِناء، وبَذَلْتَ ما في وِسعكَ لمنعه عن البلايا مِنْ مُسْكِراتٍ ومُخَدِّراتٍ فَلَنْ يجدي في الناسِ شيئاً، لأنهم امْتَنَعُوا ظاهِراً خِشْيَة العقوبة الحِسِّيَّة، فَسَيَعْكِفون على ذلك في الخفاء وفي السِّرِّ، وفي الباطِنِ كما هو حالُ الناس في هذه الأيام.

يُحَرَّمُ الغِناء لِيَشُبَّ القَلْب ويُبْنَى على الطهارة والفضيلة مِنَ البداية، فإذا بُنِيَ كذلك وقُلْتَ لهم: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾[1] أجَابُوا إجابة رَجُلٍ واحدٍ: انتهينا.

ثبت في «**صحيح البُخاري**»[2] وغيره عن أنس بنِ مالكٍ رضي الله عنه قال:

«كنتُ أسْقي أبا طلحة وفلاناً وفلاناً الخمر قبل أن تُحَرَّم، وإذا بِمُنادِي رسول الله ﷺ يُنادي: ألا إنَّ الخمر قد حُرِّمت، فقالوا: يا أنس، أهْرِق عنا هذه القلال» وما عادوا إليها أبداً وقد صَبَّ لهم أَنَسٌ الخَمْرَ في الأقداح، ورَفَعُوا الأقداحَ فوق أفواههم، وما صَبُّوا منه قطرة.

فالقَلْبَ طاهِر.

«ألا إنَّ في الجَسَدِ مُضْغَةً إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كله، وإذا فَسَدَتْ، فَسَدَ الجَسَدُ كله، ألا وهي القَلْبُ»[3].

---

(١) سورة المائدة، الآيتان: (٩٠، ٩١).

(٢) أخرجه البخاري في «**الصحيح**» (٨/ ٢٧٧)، (٦٥) ـ كتاب التفسير، (١٠) ـ باب ﴿**إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس...**﴾، الحديث رقم (٤٦١٧) بلفظ: «**فإني لقائم أسقي أبا طلحة وفلاناً وفلاناً...**» الحديث. وهو شطر من حديث طرفة: «**ما كان لنا خَمْرٌ غير فضيخكم**»

(٣) متفق عليه أخرجه البخاري في «**الصحيح**» (١/ ١٢٦)، (٢) ـ كتاب الإيمان، (٣٩) ـ باب فضل من استبرأ لدينه الحديث رقم (٥٢) عن النعمان بن بشير بلفظ «الحلال بيِّن والحرام بيِّن...» وهو شطر منه.
وأخرجه مسلم في «**الصحيح**» (٣/ ١٢٢٠)، (٢٢) ـ كتاب المُساقاة، (٢٠) ـ باب أخذ الحلال وترك الشبهات الحديث رقم ١٠٧ ـ (١٥٩٩).

٤ ـ لا يَدْخُلِ الجَنَّة دَيُّوثٌ:

ما دام الغِناء الحرام مُعَشْعِشاً في القلوبِ، فلا انتفاع مِنْ مَوْعِظَةٍ، ولا تَأَثُّرَ بنصيحةٍ، وصاحِبُ الغِناء ديُّوث، وبينه وبين الجنَّةِ حاجِبٌ مانِعٌ على ما قرره نبيُّنا صلوات الله عليه حيث قال:

«ثلاثةٌ لا يَدْخُلُون الجنَّة: العاقّ بوالِدَيْهِ، والدَّيُّوث، ورجلة النساء»[(١)].

الدَّيُّوث: الذي يقرّ الخَبَثَ في أهْلِهِ، يُحْضِرُ لهم مِنَ الأجهِزَةِ لِيَرَى أهله وترى زوجته وبناتَهُ وأولاده راقِصات يُغَنِّينَ أُغنيات لو سمعها العُبّاد الزُّهاد لَفَسدوا!

فكيف سيكونُ حالك يا عبد الله مع أولادك؟

٥ ـ هذه البَلِيَّة مع شناعتها وبشاعتها وقبحها ودناءتها أقبل عليها الكافَّة إلاّ مَنْ رحِم اللَّهُ

لقد فَشَتْ آلات الملاهي في بُيوتِنا وبيوت الخاصَّة.

وقد أفْتى بعضهم ممن يَعُدُّونَهم مِنَ الدُّعاة يتبجَّح بأن الغِناء حلال، وأنه عندما يستمع صوت المطربة:

خـذنـي بِحَنـانَـكْ خُـذْنـي عـن الـوجـود وأبْعِـدْنـي

يعتريه مِنَ الخشوع والوَجَل ما لا يعتريه عند سماع القرآن.

ويقولون الغِناء هو غذاء الروح، وهو بهجة النَّفْس ونور القلب.

وهؤلاء ممن يعتبرون دُعاة، هُمْ واللَّهِ على الإسْلامِ بُغاة.

سبحان الله العظيم، بَدَأَت القُلُوبُ الخبيثة تَخْشع لسماع الأغاني.

ورضي الله عن سيدنا عثمان بن عفَّان عندما قال: «واللَّهِ لو طهرت قلوبنا ما شَبِعَتْ مِنْ كلام رَبِّنا»[(٢)].

إنما قُلُوبٌ نَجِسَة تُريد ما يُناسبها مِنْ غِناءٍ وبلاء.

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٧٢). وقال الإمام الذهبي في «تلخيصه»: صحيح الإسناد.
وأخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ٣٩٩) من طريق مسدد، عن معتمر بن سليمان، به وصححه ووافقه الذهبي! بلفظ: «ثلاثة لا يدخلون الجنَّة: مُدْمن خمر، وقاطع الرحم، ومصدق بالسِّحْر...» الحديث وله رواية عند أحمد في «المسند» (٤/ ٣٩٩) عن علي بن عبد الله. وذكره ابن حبان في «صحيحه» بترتيب ابن بلبان (١٢/ ١٦٥) الحديث رقم (٥٣٤٦)، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ٧٤) وزاد نسبته إلى أبي يعلى والطبراني، ورجال أحمد وأبي يعلى ثقات!
قلت وللحديث شواهد عن أحمد في «المسند» (٣/ ١٤ و ٨٣) فلعل حديث الباب يتقوَّى به ويحسن.
ولفظ أحمد: «لا يدخل الجنة صاحب خمر».

(٢) ذكره البيهقي في «الأسماء والصفات» الصفحة (١٨٢) وأخرجه أحمد في «الزهد» وابن عساكر رضي الله عنه عن عثمان بن عفان كذا في «الكنز» (١/ ٢١٨) وذكره الكاندهلوي في «حياة الصحابة» (٣/ ٢٨٦).

٦ ـ أهم العُلماء القائلين بحرمة الغناء:

أولاً: أبو الفرج ابن الجوزي البغدادي، عبد الرحمن بن علي الحنبلي (ت ٥٩٧هـ):

اعتبر أبو الفرج ابن الجوزي أن الغناء يُلْهي عن التفكّر في عظمة الله سبحانه وتعالى، وعن القيام بخدمته من جهة، كما أنه يميل القلب إلى اللذات العاجلة من جهةٍ أُخرى.

وهذا ما عَبَّر عنه في كتابه **«تلبيس إبليس»**[١] إذا قال:

«واعلم أنَّ سماع الغناء يجمع شيئين:

أحدهما: أنه يُلْهي القلب عن التفكّر في عظمة الله سبحانه والقيام بخدمته.

والثاني: أن يُميله إلى اللذات العاجلة التي تدعو إلى استيفائها من جميع الشهوات الحسيَّة، ومعظمها النكاح، وليس تمام لذَّته إلاّ في المتجدّدات، ولا سبيل إلى كثرة المتجددات من الحل. فلذلك يحثُّ على الزنى، فبَيْنَ الغِناء والزنى تناسب من جهة أن الغناء لذَّة الروح، والزنا أكبر لَذَّات النفس».

قال:

«وقد تكلم الناسُ في الغناء فأطالوا، فمنهم مَنْ حَرَّمَهُ، ومِنهم مَنْ أباحه مِنْ غير كراهة، ومنهم مَن كرهه مع الإباحة».

ثم فَصَّل ذلك ذاكراً رأي المذاهب الأربعة نقلاً عن القاضي أبـي الطيب الطبري الشافعي (ت ٤٥٠هـ) في كتابه **«الردّ على من يحب السماع»**، مُورِداً أدلة المانعين والمجيزين، والشُّبَه التي تَعَلَّق بها من أجاز سماع الغناء؛ ناقِداً مسالك الصوفية في السماع الذين آثروه على قراءة القرآن[٢].

ثانياً: شيخ الإسلام ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الحنبلي[٣] (ت ٧٢٨هـ):

لقد فَرَّقَ ـ رحمه الله ـ بَيْنَ السماع الذي يُنتفع به في الدين، وبين ما يُرخصه رَفْعاً للحرج، وبين سماع المتقربين وسماع المُتلاعِبين.

فقد سُئِل ـ رحمه الله ـ عن صفة سماع الصالحين، ما هو؟

---

(١) أبو الفرج ابن الجوزي **«تلبيس إبليس»** الصفحة (٢٧٤) ذكر تلبيس إبليس على الصوفية في السماع والرقص والوجد، وقد نقل كلامه شيخ الإسلام ابن تيمية في **«الرسائل المنيرية»** الرسالة التاسعة: في السماع والرقص (١٧٨/٣).

(٢) أبو الفرج ابن الجوزي **«تلبيس إبليس»** الصفحة (٢٧٥) وما بعدها.

(٣) ابن تيمية **«رسالة في الرقص والسماع»** وهي الرسالة التاسعة من **«مجموعة الرسائل المنيرية»** (١٦٧/٣) وقد أورد هذا الكلام عبد المنعم أبو العباس في مقدمة تحقيق كتابه **«كفُّ الرعاع عن مُحرَّمات اللهو والسماع»** لابن حجر الهيتمي نقلاً عن **«مجموع الفتاوى»** لابن تيمية (٥٥٧/١١ ـ ٦٠٢).

وهل سماع القصائد الملحنة بالآلات المطربة مِنَ القرب والطاعات؟ أهو مُحَرَّم أو مباح؟.

فأجاب:

أما السماع الذي شرعه الله لعباده، وكان سَلَف الأُمّة مِنَ الصحابة والتابعين وتابعيهم يجتمعونَ عليه لصلاح قلوبهم وزكاة نفوسهم فهو سماعُ آياتِ الله، وهو سماع النبيين والمؤمنين وأهل العلم والمعرفة؛ قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾(١).

وبهذا السماع أمر اللَّهُ تعالى، وذلك في قوله: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾(٢).

وعلى أهله أثنى في قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾(٣).

وكما أَثْنَى على هذا السماع، ذَمَّ المُعرِضين عنه فقال سبحانه:

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾(٤).

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾﴾(٥).

وقد أخبر تعالى أن المعتصم بسماع القُرآن مُهْتَدٍ، مُفْلِح، والمُعْرِضُ عنه ضالٌّ شقيّ. قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾(٦).

وبالجملة:

فهذا السماع هو أصل الإيمان، فمن سمع ما بلَّغه الرسول فآمن به واتَّبَعَهُ اهتدى وأفْلَحَ، ومَنْ أعْرَضَ عن ذلك ضَلَّ وشقي.

وأما سماع المُكاء والتصدية، فهذا سماع المشركين الذي ذكره الله تعالى في قوله: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾(٧) لم يكن النبيّ ﷺ وأصحابه يجتمعون على مثل هذا السماع، ولم يُشَرِّع ﷺ لِصالِحي أُمَّتِهِ وعُبّادهم وزُهّادهم أن يجتمعوا

(١) سورة المائدة، الآية: (٨٣).
(٢) سورة الأعراف، الآية: (٢٠٤).
(٣) سورة الزمر، الآيتان: (١٧، ١٨).
(٤) سورة لقمان، الآية: (٧).
(٥) سورة فصلت، الآية: (٢٦).
(٦) سورة الزخرف، الآية: (٣٦).
(٧) سورة الأنفال، الآية: (٣٥).

على استماع الأبيات المُلَحَّنَة مع ضرب بالأكفّ أو ضرب بالقضيب أو الدُّفّ، كما لم يبح لأَحَدٍ أن يخرج عن متابعته، واتباع ما جاء به من الكتاب والحكمة، ولكن رَخَّصَ ﷺ في أنواع من اللهو المُباح في العُرْسِ ونحْوِهِ، كما رَخَّصَ **للنساء** أنْ يَضْرِبْنَ بالدُّفِ في الأعراس والأفراح، وأما الرجال على عهده فلم يكن أَحَدٌ منهم يضرب بِدُفّ، ولا يصَفِّقُ بكفّ. وكان السلف يسمون من يفعل ذلك من الرجال مُخَنَّثاً. **لأن الغناء والضرب بالدُّف والكف من عمل النساء فقط**.

هذا وقد هاجم شيخ الإسلام ابن تيمية كل العلماء الذين بَرَعُوا في صناعة الموسيقى المتأثرين بخطى اليونان في العصر العباسي.

ـ كابن سينا: الذي أَحْدَث فلسفة رَكَّبها من كلام سلفه اليونان، وقد ذكر في إشاراته في «مقامات العارفين» في الترغيب في الغناء، وعشق الصور، ما يناسب طريقة أسلافه الفلاسفة والصابئين المشركين الذين كانوا يعبدون الكواكب والأصنام كأرسطو وشيعته من اليونان، ومن اتبعه كبرقلس وثامسطيوس، والإسكندر الأفروديسي، وكان أرسطو وزير الإسكندر بن فيلبس المقدوني التي تؤرخ له اليهود والنصارى، وكان قبل المسيح بنحو (٣٠٠) سنة، وهو غير ذي القرنين المذكور في القُرآن، باني السَّدّ.

ـ كذلك انتقد شيخ الإسلام إخوان الصفا وكلامهم في الموسيقى والغناء وهم من أئمة منافقي الأمم الذين ليسوا مسلمين، ولا يهود، ولا نصارى.

ـ وهاجم الفارابي صاحب الحكاية المشهورة مع ابن حمدان (الذي ضرب فأبكى ثم أضحك ثم نوم القوم وخَرَجَ، وذلك بآلة واحدة كان في كل مرة يُعيد تركيبها على خريطة معلقة في صدره).

فانتقد طوائف اليونان التي تُرغّب بالغناء وتجعله مما تزكو به النفوس، وترتاض به، وتُهَذَّبُ به الأخلاق؛ فالفارابي قد حَذَق في حروف اليونان التي هي تعاليم أرسطو وأتباعه من الفلاسفة المشائين[1].

---

(١) انظر تمام ردّ شيخ الإسلام في **«مجموع الفتاوى»** (١١/ ٥٧٠ ـ ٥٧١)، وشيخ الإسلام ابن تيمية كان له باعٌ طويلٌ في معرفة أقوال السلف، وقلَّ أن يذكر مسألة إلاّ ويذكر فيها مذاهب الأئمة الأربعة، وبَرَعَ في العلم وصار من كبار العلماء في حياة شيوخه. ترجم له الإمام الذَّهَبِيُّ في **«تذكرة الحفاظ»** (٤/ ١٤٩٦) ترجمة (١١٧٥)، فقال: الفقيه المجتهد، المفسر البارع، شيخ الإسلام، عَلَمُ الزُّهَّاد، نَادِرَةُ العصر... وكان من بُحور العِلْم، ومن الأذكياء المعدودين، والزهاد الأفراد، والشجعان الكبار، والكرماء الأجواد، أثنى عليه المواقف والمخالف وسارت بتصانيفه الركبان لعلها (٣٠٠) مجلد. لكنه كان ـ رحمه الله ـ من المتشددين في جرح الأحاديث، يردُّ كثيراً من الأحاديث الجياد كما وصفه الحافظ ابن حجر في **«لسان الميزان»** (٦/ ٣١٩)، في ترجمة يوسف بن الحسن بن المطهر الحِلي الرافضي، وفي «فتح الباري» (٦/ ٢٢٢) الطبعة السلفية. وانظر ترجمة شيخ الإسلام في «الدرر الكامنة» لابن حجر (١/ ١٤٤) ترجمة (٤٠٩)، وراجع لِزَاماً كتاب **«الأجوبة الفاضلة للأسئلة العشرة الكاملة»** للكنوي الصفحة (١٧٤ ـ ١٧٥)، و «الرفع والتكميل» له الصفحة (٣٣٠ ـ ٣٣١).

ثالثاً: رَأي الإمام ابن قيم الجوزية، محمد بن أبـي بكر، تلميذ ابن تيمية الحنبلي[١] (ت ٧٥١هـ):

لقد حذا الإمام ابن القيم رحمه الله حذو أستاذه ابن تيمية، وعَقَدَ فصلَيْن طويليْن في كتابَيْه **«إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان»** و **«مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين»** انتهى بهما إلى ذم الغناء وأصحابه.

وكتابه **«الإغاثة»** يُمَثِّل لدى الدارسين العمدة في تحريم الغناء والمعازف، إذ جمع فيه أقوال من سبقه كالإمام أبـي بكر الطرطـوشـي في كتابه **«تحريم السماع»**، وكلام الفقهاء الأربعة كالشافعية والحنابلة والمالكية والأحناف، واستشهد عند معالجته بالأبيات الشعرية المُحَرِّمة للغناء، التي تبيّن مضارَّهُ، وساق بِضْعَةَ عشر اسماً له من الكتاب والسُّنَّة فهو بعد أنْ يُورِد الآية الكريمـة يذكر الأحاديث المفسـرة لها من كتـب السُّنَّة المشرفة كمسـند أحمد، ومسند عبد الله بن الزبير الحميدي، وجامع الترمذي، ويسوق أقوال المفسرين واللغويين، ويؤيد كلامه بآراء من سبقه ككتاب **«ذم الملاهي»** لابن أبـي الدنيا، و **«أحكام الملاهي»** لأبـي الحسـين ابن المنادي، وكتاب **«مكايد الشيطان وحيله»** لابن أبـي الدنيا أيضاً، ويتعرض أيضاً لذكر كتاب اسمه **«السماع الكبير»**[٢] من تأليفه، وكل ذلك بأسلوب محكم مُورِداً الحُجَّة تِلْوَ الأخرى.

وأما في **«مدارج السالكين»** فيتحدَّث أولاً عن تعريف السماع، وحقيقته، وأصحابه وأنواعه كالسماع الذي مدحه الله في كتابه، والسماع البغيض المكروه، والسماع المُباح، ثم يَرُدّ على حجج من قال بإباحة السماع بقوله: إن هذا حَيْدَة عن المقصود، وتعلق بما لا متعلق به.

يقول:

« والسماع على ثلاث درجات : سماع العامة وسماع الخاصَّـة وسماع خاصَّة الخاصـة».

وهكذا يُبَيّن ابن القيم أن هناك فرُوقاً بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، فأولياء الرحمن هم الذي لا يَتَّخِذُونَ دِينَهُم لَهْواً ولعباً، ولا يستجِيبُونَ سماع الشيطان على سماع القُرآن، ولا المعازف والمثاني على السبع المثاني.

ومن جميل ما ذكره ابن القيم من القصائد في الغناء الحرام:

---

(١) ابن قيم الجوزية **«إغاثة اللهفان»** (١/ ٢٢٤ ـ ٢٦٨)، و **«مدارج السالكين»** (١/ ٤٧٧ ـ ٥٠٠) فصل منزلة السماع، و **«كشف الغطاء عن حكم سماع الغناء»**.

(٢) ولعله **«كشف الغطاء عن حكم سماع الغناء»** له.

تُلِيَ الكِتَابُ فَأَطْرَقوا، لا خِيفَةً ... لكنــه إطــراقُ ســاهٍ لاهــي
وأتى الغِناءُ فكالذبابُ تراقَصُوا ... واللَّهِ ما رَقَصُوا من أجْلِ اللَّهِ
دُفٌّ ومِـزمـارٌ ونغمـة شـاهـد ... فمتى شهدت عبادة بملاهي؟
ثَقُـلَ الكتـابُ عليهـمُ لمـا رأوا ... تقيـــده بـــأوامـــرٍ ونـــواهِـــي
وعليهـم خَـفَّ الغِنـاءُ لمـا رَأوا ... إطلاقه في اللهو دون مناهي[١]

وللإمام ابن القيم أيضاً كتاب «**كشف الغطاء عن حكم سماع الغناء**»[٢] أَفْتى به رحمه الله بِحُرْمة الغناء وجمع فيه فتاوى سبعة من كبار علماء الإسلام في القرن الثامن الهجري.

منهم الإمام السُّبُكي، تقي الدين الشافعي[٣] (ت ٧٥٦هـ).

والإمام عماد الدين ابن كثير، أبو الفِداء[٤] (ت ٧٤٧هـ).

والشيخ جلالُ الدين بن قاضي القضاة حسام الدين الحنفي[٥] (ت ٧٤٥هـ).

والقاضي برهان الدين بن عبد الحق الحنفي[٦] (ت ٧٤٤هـ).

---

(١) ابن القيم «**الإغاثة**» (١/ ٢٢٥)، و«**مدارج السالكين**» (١/ ٤٨٤)، و«**كشف الغطاء عن حكم سماع الغناء**» الصفحة (٨٥).

(٢) وقد صدر بتحقيق ربيع أحمد خلف في القاهرة عن مكتبة السنة في طبعته الأولى عام ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

(٣) هو علي بن عبد الكافي، أبو الحسن السُّبْكي، وُلِدَ سنة (٦٨٣هـ) وكان شيخ الإسلام في عصره وأحد الحفّاظ المفسرين الناظرين، وهو والد التاج السبكي صاحب «**الطبقات**»، وُلِدَ في (سبك) مِنْ أعمال المنوفية بمصر، وانتقل إلى القاهرة ثم إلى الشام، وولي قضاء الشام سنة (٧٣٩هـ). من كتبه «**الدر النظيم**» في التفسير، و«**المسائل الحلبية وأجوبتها**» و«**مجموعة فتاوى**» وانظر ترجمته في «**طبقات الشافعية**» (٦/ ١٤٦ ـ ٢٢٦)، و«**الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**» لابن حجر العسقلاني (٣/ ٦٣)، و«**شذرات الذهب**» لابن العماد الحنبلي (٦/ ١٨٠)، و «**الأعلام**» لخير الدين الزركلي (٤/ ٣٠٢).

(٤) هو الحافظ إسماعيل بن عمر بن ضوء بن كثير البصري الدمشقي، وُلِدَ سنة (٧٠٠هـ) ودخل دمشق وله (٧) سنوات، وحفظ المتون والمختصرات، وصحب شيخ الإسلام ابن تيمية، وألَّفَ في صغره « **أحكام التنبيه** » وكان قليل النسيان، وامتدحه جماعة منهم الحُسَيْني والعِراقي وغيرهما. ولزم الحافظ المزِي وتزوَّج ابنته. كان من أحفظ الناس لِمُتُون الأحاديث. من أشهر تصانيفه «**تفسير القرآن العظيم**» و «**البداية والنهاية**» في التاريخ.
وانظر ترجمته في «**الدرر الكامنة**» للحافظ ابن حجر (١/ ٣٧٣)، و«**ذيل طبقات الحفاظ**» للحسيني الصفحة (٥٧)، و «**الأعلام**» لخير الدين الزركلي (١/ ٣٢٠).

(٥) هو أحمد بن الحسن بن أحمد، أبو المفاخر، الرازي الأصل ثم الرومي الحنفي. وُلِدَ سنة (٦٥١هـ) ببلدة أنكورية من بلاد الروم، وقرأ القُرآن واشتغل بالنحو والتفسير والفقه والحديث. وولي القضاء وعمره سبع عشرة سنة، ودرّس بالشام. وكان إذا مرض يقول: أخبرني رسول الله ﷺ ـ من طريق الرؤيا الصالحة ـ أني أُعَمَّر فكان ذلك، فإنه أكمل الستين وزاد، وحدَّث قليلاً، وكان يحفظ في كل يوم من أيام الدروس ثلاثمائة سطر، كان كثير المروءة حسن المعاشرة، سخيّ النفس، أقام فوق السبعين سنة يُدَرِّس بدمشق الحبيبة، وغالب رؤساء مذهبه من الحكام والمدرسين كانوا طلبة عنده، وقَلَّ منهم من أفْتى ودرس بغير خطه.
انظر ترجمته في «**الدرر الكامنة**» لابن حجر (١/ ١١٧)، و «**البداية والنهاية**» لابن كثير (١٤/ ٢١٤).

(٦) هو إبراهيم بن علي بن محمد، الحنفي، المشهور بابن عبد الحقّ، لأنه كان ابن بنت ضياء الدين عبد الحق بن خلف الحنبلي، تَفَقَّهَ على أبيه، وتعلَّم العربية والأُصول، وأخذ العلوم على شيوخ مصر والشام، وأُذِنَ له في إقراء الأُصول، وفي الفتيا، وعمره ثمانية وعشرون عاماً. ابن حجر العسقلاني «**الدرر الكامنة**» (١/ ٤٧).

والشيخ شرفُ الدين، أحمد بن الحسن الحنبلي[١] (ت ٧٧١هـ).
والشيخ أبو عمر بن الوليد المالكي وأخوه الشيخ عبد الله[٢].

وكانت صورة السؤال كما نوجزه:
ما تقول السادة العلماء أَحْسَنَ اللَّهُ توفيقهم في السماع:
١ ـ الذي يشتمل على الدُّفّ والشبابة وآلات اللهو والطرب.
٢ ـ والتصفيق بالكَفِّ ونحوه من اللهو كالتغبير[٣] ونحوه.
٣ ـ ويحضره الرجال والنساء، فربما اختلط بعضهم ببعض، فربما جلس النساء مُقابلَ الرجال فينظرون إليهم.
٤ ـ وهم يرقُصون على صوت الشبابات والدفوف والغناء.

ومنهم قومٌ يقولون: إنَّ هذا السماع قُرْبةٌ يتقرَّبُ بها، وأنَّ مَنْ رَقَصَ غُفِرَ لَهُ، ومَنْ أنْكَرَهُ هُوَ مِنْ أهل القشور لا من أهل اللبّ، وأن الإمام الشافعي رحمه الله قد قال بإباحة هذا السماع، أو هو ذَنْبٌ صغير يمحوه الاستغفار مع الإصرار عليه.

ومنهم من يحتجّ بحديث الحَبَشَة المُتَّفَقِ عليه أو حديث بناتِ النجار الذي أخرجه ابنُ ماجه.

أقول: فتأمَّل يرحمك الله كيف جمع هذا السماع آلات اللهو والطرب والتصفيق مع الاختلاط والنظر والرقص فَخَالَف أحكام الإسلام بالجهل بأحكام الشريعة كأن يكون الرقص دافِعاً للاستغفار؟ وبوجود النساء والنظر إليهنَّ؟!...

وهو ما لا يُقِره إلا إباحيٌّ خليع.

قال الإمام السُّبْكي:
«من قال إنه مُباح، فحيث لم يجتمع فيه دفّ ولا شبّابة، ولا رجال ونساء، ولا كلام فحش، ولا تغزّل حرام، فصحيح، هو مُباح من جِنْسِ المُباحات كلها». انتهى كلام السبكي.

---

(١) هو أحمد بن الحسن بن عبد الله بن أبي عمر المقدسي الحنبلي، شَرَفُ الدين ابن شرف الدين ابن قاضي الجبل، أبو عبد الله. وُلِدَ سنة (٦٩٢هـ)، خرج له ابن سعد «مشيخة» عن ثمانية عشر شيخاً حدَّث بها، واشتغل بالعلم فبرع في الفنون وكان بارِعاً في العلوم، بعيد الصيت، قديم الذكر، أفتى في شبيته، يُقال إن ابن تيمية أجازه بالإفتاء. ومن تصانيفه: «القصد المفيد في حكم التوكيد» انظر «الدرر الكامنة» لابن حجر (١/ ١٢٠).

(٢) لم نعثر على ترجمة لهما.

(٣) التغبير على ما قاله الأزهري تسمية لِما يُطَرِّبون به من الشِّعْرِ في ذكرِ الله، كأنهم إذا تناشدوا بالألحان طربوا، فَرَقَّصوا، وأزْهجوا، فَسُمّوا مُغَبِّرَة لهذا المعنى.
قال الأزهري أيضاً: وروينا عن الشافعي رضي الله عنه أنه قال: أرى الزنادقة وَضَعُوا هذا التغبير ليصدوا عن ذكر الله وقراءة القُرآن. وقال الزجاج: سُمُّوا مُغَبِّرين لتزهيدهم الناس في الفانية وهي الدنيا، وترغيبهم في الآخرة الباقية. انظر «لسان العرب» لابن منظور (٥/ ٥) مادة (غ ب ر).

رابعاً : ابن حجر الهيتمي، أحمد بن محمد الشافعي (ت ٩٧٤هـ):

لابن حجر الهيتمي رسالة في السماع سمّاها **«كَفُّ الرُّعاع عن مُحَرَّماتِ اللهو والسماع»**[١] تحَدَّث فيها المؤلف عن حرمة الغناء والموسيقى، والمسابقة واللعب بالحمام وغيرها من اللهو المعروف.

«أما سبب تأليفه لهذه الرسالة، فذكره ابن حجر نفسه في صدر رسالته أثناء وجوده في مكة بلد الله الحرام عند بعض الأصدقاء، إذ وقع سؤالٌ وُجِّه له متعلق بأحكام السماع فَأَغْلَظَ في الجواب.

فقيل له عن كتابِ أَلَّفَهُ محمد الشاذلي التونسي المالكي (ت بعد ٨٥٠هـ)، أبو المواهب صاحب رسالة **«فَرَحُ الأسماع برخص السماع»**[٢] ذهب فيها إلى حلّ الغناء المشروط، فلمّا قرأها ابن حجر رحمه الله قام بتأليف **«كَفُّ الرُّعاع»** ناهِجاً منهج النَّقْدِ، إذْ ذكر ما جاء في **«فرح الأسماع»** فقرة فقرة، وقام بالردّ على كل فقرة على حِدَة، ذاكِراً آراء العلماء، معتمداً على أقوال أهل العلم من الشافعية.

كل ذلك بأسلوبٍ هُجومِيٍّ على مخالفيه في الرأي، ورميه لهم بالكذب، والخُبْثِ والنِّفاق وغير ذلك من الأوصاف التي وجدناها في ثنايا رسالته.

ومع أن الإمام الشاذلي نقل ـ مُقَلِّداً ـ حجج كمال الدين، جعفر بن ثعلب الأدفوي (ت ٧٤٩هـ) صاحب رسالة **«الإمتاع في أحكام السماع»** وهو شافعي أيضاً، إلاّ أن ابن حجر استعمل أسْلُوبَ الهجوم على الشّاذلي، وابن حَزْم (ت ٤٥٦هـ) وابن طاهر المقدسي (ت ٥٠٧هـ) بينما تحَدَّث عن الأَدْفَوِيّ بِشَيءٍ من الحوار الهادىء المشفوع أحياناً بِنَوْعٍ من الاحترام، ويظهر أنَّ التَعَصُّبَ المذهبيّ في ذاك العصر كان قائماً على أشدّه، فالأدفوي شافعيٌّ كالهيتمي، والآخرون يُخالِفونه في المذهب»[٣].

---

(١) طبعت بالقاهرة مطبعة عيسى البابي الحلبي في مجلدٍ واحد وبآخرها كتاب **«الإعلام بقواطع الإسلام»** وقامت بتصويرها دار المعرفة ـ بيروت بطبعتها الثالثة دون تاريخ، وقام بتحقيقها مُؤَخَّراً محمد عبد القادر عطا فَصَدَرت عن دار الكتب العلمية ـ بيروت في مجلد واحد عام ١٩٨٦م، ثم قام بتحقيقها عبد المنعم أبو عباس وصدرت عن مكتبة القرآن في القاهرة ـ بولاق رقم الإيداع بدار الكتب (٧٧٧٠/ ٨٩).

(٢) وقد أصدرته الدار العربية للكتاب بتحقيق الدكتور محمد الشريف الرحموني، كذا ذكر عبد المنعم أبو العباس في **«كف الرعاع»** الصفحة (١٨). وقال عنه الأسنوي في **«طبقات الشافعية»** (١/ ٨٦) ترجمة (١٥٢): كتاب نفيس أبان فيه إطلاع كبير.

(٣) ابن حجر الهيتمي **«كف الرعاع»** المقدمة بقلم عبد المنعم أبو العباس الصفحة (١٥ ـ ١٦).

وقد حكم الإمام النووي بردِّ شهادة المفتي، وردِّ فتواه إنْ أفْتى بدافع التعصّب والمُنابَذة ـ كما فعل ابن حجر الهيتمي رحمه الله ردّاً على رسالة الأدفوي. قال الإمام النووي في رسالته: **«آداب الفتوى والمفتي والمستفتي»** الصفحة (٢٠) بعناية بسام عبد الوهاب الجابي: **«إن المفتي إذا نابَذ في فتواه شخصياً معيناً، صار خصماً حكماً مُعانِداً، فتُرَدّ فتواه على من عاداه كما تُردّ شهادته»**. انتهى كلام النووي.

ويتلخص مما ذكر أن رسالة ابن حجر لم تَكُنْ إلاّ رداً على رسالة شافعي مثله هو الأَدْفَوِيّ صاحب «**الإمتاع**»لكن حقيقة رسالة الأدفوي ـ وكما يراها الإمام الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ) في كتابه «**إتحاف السادة المتقين شرح أسرار إحياء علوم الدين**»[1] ـ هي نَقْله أدِلَّة المجيزين للسماع من كتاب «**عوارف المعارف**» للسُّهْرَوَرْدِي، عمر بن محمد (ت ٦٣٢) الذي نقل بدوره ـ مُقَلِّداً ـ أدلتها عن أبي طالب المكي (ت ٣٨٦هـ) صاحب كتاب «**قوت القلوب**» وهاكم صورة النقل:

صورة نقل المجيزين للغناء

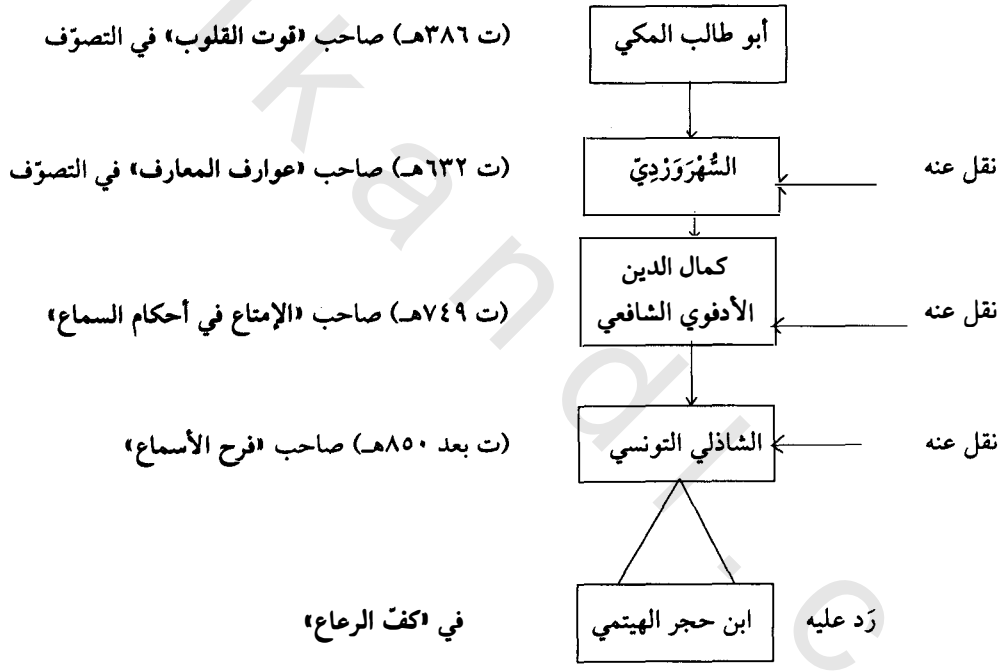

لكن إضافة إلى الأسلوب الهجومي العنيف على من خالفه، يَرَى الإمام النابلسي الحنفي (ت ١٧٣١هـ) في رسالته «**إيضاح الدلالات في سماع الآلات**» أن أسلوب ابن حجر الهيتمي غَمَرَهُ الاضطراب ولم يكن قائماً إلاّ على التعصُّب دون تحقيق،حيث يستقرىء الإمام النابلسي

(١) الزبيدي «**إتحاف السادة المتقين**» (٦/ ٤٦٦).

بما لديه من علوم، عَدَم إنْصافِه ـ أي ابن حجر ـ في أحكامه المبنيَّةِ على التعصب الذي لا مُبَرِّر له سوى إفحام الخَصْم ويقول: «لابن حجر الهيتمي موقِفٌ بين يَدَيْ الله تعالى يوم القيامة مع ابن حزم وابن طاهر»[١].

وبِسَبَبِ الغُلُوّ والتشديد في الحرمة وقع ابن حجر نفسه في التناقض في أحكامه «فبينما ذكر في مقدمة رسالته أحاديث فيها صريح الحرمة في الدُّفِّ والطبل مطلقاً، ليظهر نقول **الحرمة المطلقة** ، تراه يصرح بعد ذلك بإباحة الدف مطلقاً في الأصح ولو كان فيه جلاجل»[٢].

والعجب منه أيضاً، فإنه بعد أن **أطلق الحرمة** في سماع الآلات في رسالته المذكورة، قال بعد ذلك في سياق سماع الغناء والمزامير والمعازف وسائر الملاهي[٣]: «ولسنا نُحَرِّم مُطْلَقَ السَّماع، ولا نعتقد أن ما يُفْعل من ذلك كله سفساف وضياع، بل منهم العارفون وهم حزْبُ الله ﴿فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾[٤]. انتهى كلام ابن حجر[٥].

«فهو ـ أي ابن حجر ـ يعتقد التفصيل، غير أنه خشي منه دعوى الجاهلين ما ليس لهم، فأطلق الحرمة ردْعاً وزَجْراً، والأوْلى في حقِّه التفصيل الذي يعتقده، لأن الحلال والحرام أمانة الله تعالى عند العلماء كما قال تعالى: ﴿فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾[٦]، فالإطلاق في موضع التفصيل خطأ»[٧].

هذا وتعتبر «**كف الرعاع**» من أشد الرسائل في السماع حُرْمةً، صَدَّرها مؤلفها بمقدمة هاجم فيها من اتَّخذوا (مزامير الشيطان) شفاءً للغليل، فهو يردّ ـ بزعمه ـ على المبطلين الذين ضَلّوا سواء السبيل وكان بينهم جَمْعٌ يُصْغُونَ إلى مَنْ لا يعتدّ بهم في تحليل ولا تحريم، بل يخشى عليه الدخول في ورطة المشار إليهم بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ﴾[٨].

وقد قسَّم الحافظ رسالته إلى مقدمة وبابين وخاتمة.

بَيَّن في الباب الأول أقسام الغناء المحرم كسماع الغناء المقترن برقص أو نحو دف أو مزمار أو وتر، وقراءة القُرآن بالألحان، والدف والكوبة وسائر الطبول، والضرب بالصفاقتين، والضرب بالقضيب على الوسائد، والتصفيق ببطن أحد الكفَّين على الآخر، والضرب بالأقلام

---

(١) عبد الغني النابلسي «**إيضاح الدلالات في سماع الآلات**» الصفحة (٧٨).
(٢) «**المصدر نفسه**» الصفحة (٤٢).
(٣) «**المصدر نفسه**» الصفحة (٤٣).
(٤) سورة المائدة، الآية: (٥٦).
(٥) ابن حجر الهيتمي «**كف الرعاع**» الصفحة (٩٠) وانظر النابلسي «**إيضاح الدلالات**» الصفحة (٤٣).
(٦) سورة البقرة، الآية: (٢٨٣).
(٧) النابلسي «**إيضاح الدلالات**» الصفحة (٤٤).
(٨) سورة النحل، الآية: (١١٦).

على الصيني أو بإحدى قطعتيْنِ منه على الأُخْرى، والشبابة والزمارة والقَصَب الموصول (يضرب به على الأوتار) والمزمار العراقي.

بينما عرض في الباب الثاني أقسام اللهو المحرم كاللعب بالنرد، والشطرنج، واللعب بالحزة والقرق، واللعب بالجوز والخاتم والحمام وغيره.

خامساً رأي القاضي الشوكاني محمد بن علي[١] الزيدي (ت ١٢٥٠هـ):

لم يعتبر القاضي الشوكاني ـ رحمه الله ـ الغناء حراماً، لكنه لم يخرجه عن دائرة الشبهات التي يجب الوقوف عندها. وللشوكاني رسالة اشتملت على أقوال أهل العلم في مسألة السماع، وعلى ما استدلّ به محللوه ومحرموه، فقد حرَّر ـ رحمه الله ـ حُجَج الفريقين وحقَّقَ في هذه المسألة بما لا يحتاج بعده إلى كتاب آخر، وله رسالة أخرى سماها **«إبطال دعوى الإجماع على تحريم مطلق السماع»** ذكرها في نهاية كتابه **«نيل الأوطار»** باب ما جاء في آلة اللهو، قال:

«وإذا تقرَّر جميع ماحرَّرناه من حجج الفريقين، فلا يخفى على الناظر أن مَحَلَّ النزاع **«إذا خرج عن دائرة الحرام لم يخرج عن دائرة الاشتباه»**.

والمؤمنون وقّافون عند الشبهات كما صَرَّح به الحديث الصحيح «ومن تركها فقد اسْتَبْرَأَ لِعِرْضه ودينه، ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه»[٢] لا سيما إذا كان مشتملاً على ذكر القدود والخدود، والجمال والدلال، والهجر والوصال، ومعاقرة العقار وخلع العذار والوقار، فإن سامع ما كان كذلك، لا يخلو عن بَلِيَّة وإن كان من التصلُّب في ذات الله على حدّ يقصر عنه الوصف.

وكم من قتيلٍ دمه مطلول، وأسير بهموم غرامه وهيامه مكبول.

زاد في آخر «رسالته» **«إبطال دعوى الإجماع»**:

«فليحذر المتحفظ لدينه، الراغب في إسلامه عن ذلك، فإن للشيطان حبائل، ينصب لكل إنسان منها ما يليق به، وربما كان الغناء على الصفة التي وصفناها من أعظم خدائع اللعين الخبيث، ولا سيما لمن كان في الأزمان السيئة، فإن نفسه تميل إلى المستلذات الدنيوية بالطبع.

وأيضاً السماع من أعظم الأسباب الجالبة للفقر، المذهبة للأموال، وقد قال بعض

---

(١) الشوكاني **«إبطال دعوى الإجماع على تحريم مطلق السماع»** ذكرها في نهاية كتابه **«نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار»** باب ما جاء في آلة اللهو ٨/ ١٠٩ ـ ١٢٠، وقد ذكر هذا الكلام عبد المنعم أبو العباس في مقدمة تحقيق كتابه **«كف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع»** لابن حجر الهيتمي صفحة (١١).

(٢) مُتَّفقٌ عليه. رواه البخاري في **«الصحيح»** (١/ ١٢٦)، (٢) ـ كتاب الإيمان، (٣٩) ـ باب فضل من استبرأ لدينه الحديث رقم (٥٢) وطرفه: «الحلال بَيِّنٌ والحرام بَيِّنٌ...» الحديث. ورواه مسلم في **«الصحيح»** (٣/ ١٢١٩) (١٢) ـ كتاب المساقاة، (٢٠) ـ باب أخذ الحلال وترك الشبهات الحديث رقم ١٠٧ ـ (١٥٩٩).

الحكماء: إن السماع من أسباب الموت، فقيل: وكيف ذلك؟ فقال: كان الرجل يسمع، فيطرب، فينفق، فيسرف، فيفتقر، فيغتم، فيعتل، فيموت»ا.هـ.

٧ ـ الغناء والشِّعر:

أولاً: الشعر أصله الغناء:

عرَّف اللغويون الغناء فقالوا: «الغناء كَكِساء، من الصوت: ما طُرِّب به.

وغنَّاه الشِّعْر، وغَنَّاه به تَغْنِيَةً: تَغَنَّى به»[١].

يقول أحمد حسن الزيات في كتابه «**تاريخ الأدب العربي**»:

الشِّعْرُ كما هو معروف في كُتُبِ اللغة، كلامٌ مَوْزونٌ (أي له أوزان عَرُوضِيَّة) مُقَفًّى (أي له قافية ينتهي بها) يُعبِّرُ عن الأخْيِلَة البديعة، والصُّوَرِ المؤثِّرة البليغة.

وهو من أقدم الآثار الأدبِيَّةِ عَهْداً، لعلاقته بالشعور وصلته بالطَّبْع، وعدم احتياجه إلى رقي العَقْل، أو تعمّق في العِلْم، أو تقدُّم في المدنيّة.

والمَظْنُون أن العرب خَطَوْا من المُرْسَلِ إلى السَّجْعِ، ومن السَّجْعِ إلى الرَّجَزِ، ثم تَدَرَّجوا مِنَ الرَّجزِ إلى القصيد.

فالسجع هو الطور الأول من أطوال الشِّعْرِ، تَوَخّاه الكُهّان مناجاةً للآلهة، وتقييداً للحكمة، وتعمِيَةً للجواب وفتنةً للسامع، وكُهّانُ العَرَبِ ككهان الإغريق هم الشعراء الأَوَّلُون، زعموا أنهم مهبط الإلهام، وأنجياء الآلهة، فكانوا يسترحمونها بالأناشيد، ويتلهمونها بالأدعية، ويُخْبِرُون الناس بأسرار الغيْب في حمل مقفاه موقعةً أطْلقوا عليها اسم السَّجع تشبيهاً لها بِسَجَع الحَمامَةِ لِما فيها من تلك النغمةِ الواحدة البسيطة.

فلما ارتقى فيهم ذوق الغِناء، وانتقل الشعر من المعابِدِ إلى الصحراءَ، ومن الدُّعاء إلى الحُداء، اجتمع الوزن والقافية فكان الرجز.

ثم تعدَّدت الأوزان بتعدد الألحان، فكان للحماسة وَزْنٌ، وللغَزَلِ وَزْنٌ، وللهزج وزن، وهكذا إلى سائر الأوزان التي حَصَرها الخليل بن أحمد الفراهيدي[٢] في خمسة عَشَر وزْناً

---

(١) الفيروزآبادي «**القاموس المحيط**» الصفحة (١٧٠١)، وابن منظور «**لسان العرب**» (١٥/ ١٣٩).

(٢) الإمام، صاحب العربية، ومنشىء علم العروض، أبو عبد الرحمن البصري. كان رَأْساً في لسان العرب، دَيِّناً، ورِعاً، قانِعاً مُتواضِعاً، يُقال: إنه دعا الله أن يرزقه عِلْماً لا يُسْبَق إليه، فَفُتِحَ له بالعَروض، وله كتاب «**العين**» في اللغة، و «**الإيقاع**» وكان مُفْرَط الذكاء رحمه الله. مات سنة بضع وستين ومائة. «**سير أعلام النبلاء**» للذهبي (٧/ ٤٢٩) ترجمة (١٦١)، و «**معجم الأدباء**» لياقوت (١١/ ٧٢ ـ ٧٧)، و «**بغية الوعاة**» للسيوطي (١/ ٥٥٧ ـ ٥٦٠).

سمّاها بُحوراً. فأنت تَرَى أن الشِّعْرَ مصدره الغناء، وفي أخذهم السجع من هَدِيل الحمامة، والرجز من إيقاع مَشْيِ الناقة، ولفظ الشِّعْرِ من (شير) العبريَّة بمعنى الترتيلة أو التسبيحة، وقولهم إلى الآن: أنشد الشِّعْر بمعنى ألقاه، ما يؤيّد ذلك»[١] انتهى كلام الزيات.

أقسام الشعر:

ينقسم الشعر إلى قِسْمَيْن: الشعر المباح والشعر المُحَرَّم[٢].

أ ـ الشعر المباح:

● **تعريفه:** وهو ما خَلاَ عن فُحْشٍ ومُنْكَرٍ وبَذَاءةٍ وخَنا، ولم يُحرِّكْ الشهوات والغرائز عند الجِنْسَيْن أي:

ـ لم يكن من رَجُلٍ في حقّ امرأة[٣]

ـ ولا مِنْ امرأةٍ في حقّ رجل

ـ ولا مِنْ أمْرَدَ في حقِّ الصِّنْفَيْنِ.

---

(١) أحمد حسن الزيات «**تاريخ الأدب العربي**» الصفحة (٢٥ ـ ٢٦).

(٢) انظر في ذلك «**المغني**» لابن قدامة الحنبلي (٩/ ١٧٧ ـ ١٧٨) مسألة: والعدل من لم تظهر منه ريبة.

(٣) وقد نقل الكمال ابن الهمام في كتابه «**شرح فتح القدير**» (٦/ ٤٨٢) إباحة الشعر في وصف امرأة مُرْسَلة وكذلك فعل ابنُ عابدين في «**الحاشية**» (١/ ٣٢) وقد فعله الصحابة الكريم وسمعه النبي ﷺ. يقول الكمال ابن الهمام مُبَيِّناً أنواع الشعر المُحَرَّم:

«والتغني المحرَّم هو ما كان في اللفظ ما لا يحِلُّ:

ـ كصِفَة الذَّكَر.

ـ والمرأة المُعَيَّنة.

ـ ووصف الخمر المهيِّج لها، والدويرات، والحانات.

ـ والهجاء لمسلم أو ذميّ إذا أراد المتكلم هجاءه، لا إذا أراد إنشاد الشعر للاستشهاد به أو لتعلم فصاحته وبلاغته.

ويدل على أنَّ وَصْفَ المرأةِ كذلك غير مانع ما سلف في كتاب الحج، من إنشاد أبي هريرة رضي الله عنه وهو مُحْرِم:

قامت تُريكَ رَهْبَةً أنْ تضما ... ساقاً بخنداة وكعباً أدرما

لأن المرأة فيه ليست معينة. وهذا الحديث أورده ابن حجر في «**لسان الميزان**» (٢/ ٢٦٤) وقال: «قال ابن شبَّة هذا الشعر للعجاج وعِداده في التابعين». وليس لأبي هريرة. فهو إذاً غير صحيح.

ولولا أن إنشاد ما فيه وصف امرأة كذلك جائز لم تقله الصحابة الكرام.

ومما يقطع في هذا قول كعب بن زهير بحضرة النبي ﷺ:

وما سُعادُ غداة البين إذْ رَحَلوا ... إلاّ أغن غضيض الطرف مكحولُ

تجلو عوارض ذي ظلم إذا ابتسمت ... كأنه منهل بالراح معلولُ

وكثير في شعر حسان مِنْ هذا، كقوله وقد سمعه النبي ﷺ في قصيدته وأولها:

تبلت فؤادك في المنام خريدة ... تَسْقِي الضجيعَ ببارِدٍ بسّامِ

● **أقسامه**: خمسة:

* **أولاً: كَأن يكون في وَصْفِ ما في هذا الكونِ الذي خَلَقَه الله: كقولهم من الشعر المباح:**

والأَرْضُ فيها عِبْرَةٌ لِلْمُعْتَبِرْ ... تُخْبِرُ عن صَنِيعِ مليكٍ مُقْتَدِرْ
تُسْقَى بماءٍ واحدةٍ أشجارها ... وبُقْعَةٌ واحدةٌ قرارها
والشمس والهواء ليس يختلف ... وأكلها مختلف لا يأتلف
لو أنَّ ذا مِنْ عَمَلِ الطبائع ... وأنه صفة غير صانع
لم يختلف وكان شيئاً واحدة ... هل يشبه الأولاد إلاّ الوالدة

* **ثانياً: شعر الحجيج إلى بيت الله الحرام لأداء فريضة الحج أو العُمْرة:**

ومن تلك الأشعار الجميلة التي يقولها الحُجَّاج وهمُ يُشَوِّقون أنفسهم إلى لقاء بيت ربهم:

ما الشامُ مَقْصَدُنا كَلاّ، ولا حَلَبُ ... لكن لِمكَّةَ منّا تَرْحَلُ النُّجُبُ
أُمُّ القُرَى لَسْتُ أنسى إذْ تُقَرِّبُنِي ... والدَّمْعُ مِنْ فَرَحي في حجرها حدبُ
مَنَّت عَلَيَّ بِوَصْلٍ كالجِبالِ مَضَى ... يَهُزُّني كلما استحضرته الطربُ
ما العُمْرُ إلاّ أُوقيات ذهبن بها ... صفراً وهُنَّ الخالِصُ الذَّهَبُ

ومن أَرْوَعِها وأصْدَقها قصيدة الشاعر اليماني عبد الرحيم البُرعي[1] (ت ٨٠٣هـ) التي نَظَمها بعدما تَعَذَّر عليه الحجّ، فخاطب المسافرين إلى بيت الله الحرام واصِفاً اختلاجاته وعواطفه قائلاً:

يا راحِلِينَ إلى مِنَى بِقِيادي ... هَيَّجْتُمُ يومَ الرحيلِ فُؤادِي
سِرْتُمْ وسارَ دليلُكم يا وَحْشَتِي ... الشَّوْقُ أقْلَقني وصوت الحَادِي
أحْرَمْتُمُ جَفْني المنامَ بِبُعْدِكُمْ ... يا ساكنينَ المُنْحَنَى والوادي
فإذا وَصَلْتُمْ سالِمينَ فَبَلِّغوا ... مِنِّي السلامَ إلى النبيِّ الهادي
مَنْ نالَ مِنْ عرفاتَ نَظْرَةَ ساعةٍ ... نالَ السُّرُورَ ونَالَ كُلَّ مُرادِ
تاللَّهِ ما أحلى المبيتَ على مِنَى ... في ليلِ عيدٍ أبْرَكِ الأعْيادِ
يا ربِّ أنت وَصَلْتُهمْ وقَطَعْتَنِي ... فَبِحَقِّهم يا ربِّ فُكَّ قِيادي
بالله يا زُوّار قَبْرِ محمدٍ ... مَنْ كان مِنكم رائحاً أو غادي

(١) هو عبد الرحيم بن أحمد بن علي البُرْعي اليماني، الشاعر المُتَصَوِّف، من سكان «النيابتين» في اليمن، أَفْتى ودَرَّس وله «ديوان شعر» مطبوع أكثره في المدائح النبوية، انظر البغدادي «هدية العارفين» (١/ ٥٥٩)، و «الأعلام» لخير الدين الزركلي (٣/ ٣٤٣).

فَبَلِّغُوا المُختارَ ألفَ تحيةٍ مِنْ عاشِقٍ مُتَفَتِّتِ الأكبادِ

* ثالثاً: أشعار الزهد والفضائل والآداب:

وهي الأشعار المُرَغِّبة في الْخَيْر، كقول الإمام السُّهَيْلِي، عبد الرحمن بن عبد الله[١] (ت ٥٨١هـ).

يا مَنْ يَرَى في الضَّمِيرِ ويَسْمَعُ أنتَ المُعِدُّ لِكُلِّ ما يُتَوَقَّعُ
يا مَنْ يُرجَّى للشدائدِ كُلِّها يا مَنْ إليه المُشْتَكَى والمَفْزَعُ
يا مَنْ خزائنُ رِزْقِهِ في قولِ كُنْ أَمْنُنْ، فإنَّ الخَيْرَ عندكَ أجْمَعُ
مالي سِوى فَقْري إليكَ وسيلَةٌ فبالافتقارِ إليكَ فَقْرِي أَدْفَعُ
مالي سِوى قَرْعي لِبابِكَ حِيلَةٌ فإنْ رُدَّت، فأيّ بابٍ أَقْرَعُ
ومنِ الذي أدْعُو وأهتفُ بِاسْمِهِ إنْ كان جودُك عن فقيرِكَ يُمْنَعُ
حاشَ لِفَضْلِكَ أنْ يُقَنِّطَ عاصِياً الفَضْلُ أجْزَلُ والمواهِبُ أَوْسَعُ[٢]

قال ابن فرحون المالكي في «الديباج المُذْهِب»:

«قال ابنُ دحية: أنشدني وقال: إنه ما سألَ اللَّهَ بها إلاّ أعطاه إياها، وكذلك من استعمل إنشادها»[٣].

ولذلك قال رَجُلٌ للإمام أحمد رحمه الله:

ما تقول في الغناء؟

فأراد الإمام أحمد أن يَسْتَفْسِرَ مِنَ السائل حقيقة الغناء، قال: مِثل ماذا؟ ماذا تقصد بالغناء؟

فأجاب مِثْلَ قولِ القائل:

إذا ما قال لي رَبِّي أما اسْتَحْيَيْتَ تَعْصِينِي
وتُخْفِي الذَّنْبَ عَنْ خَلْقِي وبالعِصْيانِ تأتيني[٤]

---

(١) هو حافظ الأندلس أبو زيد، عالِمُ اللغة والسِّيَر. كان ضريراً، عمي وعمره (١٧) سنة ونَبَغَ، فاتَّصَلَ خبره بصاحب مراكش، فطلبه إليه وأكرمه، فأقام يُصَنِّف كتبه إلى أن توفي بها. من كتبه «الرَّوْضُ الأُنُف» في شرح السيرة النبوية لابن هشام و «الإيضاح والتبيين لما أُبْهِمَ من تفسير القُرآن المبين». انظر الزركلي خير الدين «الأعلام» (٣/ ٣١٣).

(٢) ابن فرحون «الديباج المُذْهِب في معرفة علماء المذهب» (١/ ٤٨٠ ـ ٤٨١)، و «أناشيد الصفا في مديح المصطفى ﷺ ومولد البرزنجي» الصفحة (٩٠ ـ ٩١) وفي هذا الكتاب طائفة طيبة من المدائح النبوية فلينظر، وحسين عسيران «أدعية الأنبياء والصِّدِّيقين» الصفحة (١٢٦).

(٣) ابن فرحون «الديباج المذهب» (١/ ٤٨٠ ـ ٤٨١).

(٤) أبو الفرج ابن الجوزي «تلبيس إبليس» الصفحة (٢٧٨) رأي الصوفية في الغناء.

فَقَبَضَ الإمامُ أحمد على لِحْيَته، وبَدَأ يُكرِّر البيتين حتى سمعتُ نشيجه وقال: هذا ليس بغناء أيها الرجل.

ومثل ذلك قصائد مَدْح النبي ﷺ كقصيدة «**البُرْدَة**» للإمام البُوصِيري، محمد بن سعيد بن حماد[١] (ت ٦٩٦هـ) ومَطْلَعُها:

أَمِنْ تَذَكُّرِ جِيرانٍ بِذي سَلَمٍ ... مَزَجْتَ دَمْعاً جَرَى مِنْ مُقْلَةٍ بِدَمِ
أَمْ هَبَّتِ الريحُ مِنْ تِلْقاءِ كاظِمةٍ ... وأَوْمَضَ البَرْقُ في الظلماءِ منْ إِضَمِ

وقد روي أنه أَنْشأها حين أصابه الفالِج، فاستشفع بها إلى الله تعالى، ولما نام رَأَى النبي ﷺ في منامه فَمَسَحَ بيده المُباركة بَدَنَهُ فَعُوفِيَ، وخرج مِن بيته أول النهار. وكان الناس يستشفونَ بها[٢].

ولابن الوَرْدِي[٣] (ت ٧٤٩هـ) قصائِد رائعة في الفضائل، ويُقال إنه ـ أي ابن الوردي ـ مَلأَ الدُّنيا شِعْراً، وله قصيدة في تاريخ الإسلام مكونة من (٥٠,٠٠٠) خمسين ألف بيتٍ، وله سيرة النبي ﷺ شِعْراً، ولَعَلَّ مِنْ أَشْهَر قصائده لامِيَّته المشهورة المسماة «**نصيحة الإخوان ومرشدة الأنام**» التي تزيد على ثمانين بيتاً ومطلعها:

اعْتَزِلْ ذِكْرَ الأَغَاني والغَزَلْ ... وَقُلِ الفَصْلَ وجانِبْ مَنْ هَزَلْ
ودعِ الذِّكْرَ لأيّامِ الصِّبا ... فَلأَيّامِ الصِّبا نَجْمٌ أَفَلْ

وفيها:

وأَتْرُكِ الغادَةَ لا تَحْفَل بها ... تُمْسِ في عِزٍّ وتُرْفَعْ وتُجَلْ
وأَلِهَ عن آلَةِ لهوٍ أَطْرَبَتْ ... وعَنِ الأَمْرَدِ مُرْتَجِّ الكَفَلْ
وأَفْتَكِرْ في مُنْتَهى حُسْنِ الذي ... أَنْتَ تهواه تَجِدْ أَمْراً جَلَلْ

---

(١) هو الإمام المصري، شرف الدين، أبو عبد الله، إمام أئمة المديح. نسبته إلى بوصِير ـ من أعمال سويق بمصر ـ أمه منها وأصله من المغرب، له «**ديوان شعر**» مطبوع وأشهر شعره قصيدة البُرْدَة وقد شرحها كثيرون وانظر ترجمته في «**الوافي بالوفيات**» للصفدي (٣/ ١٠٥ ـ ١١٣) و «**فوات الوفيات**» للكتبي (٢/ ٢٠٥).
ومن المصادر الأجنبية: BROCKELMAN CARL SI, 467.
وتقع قصيدة البردة في (١٦٢) بيتاً، منها (١٠) في المطلع، و (١٦) في النفس وهواها، و (٣٠) في مدائح الرسول ﷺ و (١٩) في مولده، و (١٠) في دعابه، و (١٠) في مدح القرآن، و (٣) في ذكر مِعراجه، و (٢٢) في جهاده، و (١٢) في الاستغفار، وبقيتها في المناجاة. ومن أشهر شارحيها شيخ الإسلام إبراهيم الباجوري، وقد طبع هذا الشرح في مجلدٍ واحدٍ في القاهرة بضبط وتعليق الشيخ عبد الرحمن حسن محمود، مكتبة الآداب، رقم الإيداع ١٥٤٩/ ٩١.

(٢) عبد الرحمن حسن محمود «**البردة**» الصفحة (٣).

(٣) هو الشاعر السوري الكبير عمر بن مظفر بن عمر، أبو حفص، زين الدين. شاعِرٌ، أديب، مُؤرِّخ. وُلِدَ في مَعَرَّة النعمان بسورية عام (٦٩١هـ) وتوفي بحلب. وله «**ديوان شعر**» مطبوع فيه بعض نظمه ونثره، و «**شرح ألفيّة ابن مالك في النحو**» و «**بهجة الحاوي**» نظم بها الحاوي الصغير في فقه الشافعية. انظر ترجمته في «**فوات الوفيات**» للكتبي (٢/ ١١٦)، و «**الدرر الكامنة**» لابن حجر (٣/ ١٩٥).

وٱهْجُرِ الخَمرةَ إنْ كنتَ فتىً ... كَيْفَ يَسْعَى في جُنونٍ مَنْ عَقَلْ
واتَّقِ اللَّهَ فَتَقْوَى اللَّهِ ما ... جاوَرَتْ قلبَ امرىءٍ إلاّ وَصَلْ
لَيْسَ مَنْ يَقْطَعُ طُرُقاً بَطَلاً ... إنما مَنْ يَتَّقِي اللَّهَ البَطَلْ
لا تَقُلْ أَصْلِي وفَصْلي أبداً ... إنما أَصْلُ الفَتَى ما قد حَصَلْ[1]

ومثل ذلك قصائد الدعاء والرجاء كقول أحد الصالحين:

طَرَقْتُ بابَ الرَّجا والناسُ قَدْ رَقَدُوا ... وبِتُّ أَشْكُو إلى مَوْلايَ ما أَجِدُ
وقُلْتُ يا أَمَلِي في كل نائِبَةٍ ... يا مَنْ عليه لِكَشْفِ الضُّرِّ أَعْتَمِدُ
وقد بَسَطْتُ يدي بالذُّلِّ مُفْتَقِراً ... إليكَ، يا خَيْرَ مَنْ مُدَّت إليه يَدُ
فلا تَرُدَّنَّها يا ربِّ خائِبَةً ... فَبَحْرُ جُودكَ يَرْوي كُلَّ مَنْ يَرِدُ[2]

رابعاً: أَشْعار العُرْس:

وهي الأشعار التي ينشدها أهل العروس إظهاراً للبهجة والسرور والفَرَح، ليحصل الفَرْق بين النِّكاح والسِّفاح؛ فالنِّكاحُ يُفْعَلُ جَهْراً، والسِّفاحُ يُفْعَلُ سِرّاً.

وقد أباح النبيُّ ﷺ هذا وأرشدنا إليه، ففي **«صحيح البخاري»**[3] عن أُمِّنا عائشة قالت: «زَفَفْتُ امرأةً إلى رَجُلٍ مِنَ الأنصار فقال النبي ﷺ: يا عائشة، أما كان معكم لهْوٌ، فإنَّ الأنصار يعجبهم اللهو».

وفي رواية الإمام أحمد في **«مسنده»** و **«معجم الطبراني الأوسط»** قالت أُمنا عائشة: نقول ماذا يا رسول الله؟ قال: قولي:

أتيناكُمْ أَتَيْناكُمْ ... فَحَيُّونا نُحَيِّكُمْ
ولولا الحِنْطةُ السمرا ... ءُ ما سَمِنَتْ عَذَاريكُم
ولولا الذَّهبُ الأَحْمَـ ... ـرُ ما حَلَّت بِواديكم

ومثل ذلك ما يُعْرَف اليوم «بالزلاغيط» كقولهم في أيامنا:

يا بَحْرِ شُورَانْ حاجي تِنْتِلِي وِتْزِيدْ

---

(١) ابن الوردي **«نصيحة الإخوان»** ضمن كتاب **«المجموع الكبير من المتون فيما يُذكر من الفنون»** الصفحة (٥٤٠)، الطبعة الثانية، دار الفكر بيروت عام ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٤م؛ و **«أناشيد الصفا في مديح المصطفى ﷺ ومولد البرزنجي»** الصفحة (٨٢).

(٢) انظر **«أناشيد الصفا»** الصفحة (٨٠).

(٣) البخاري **«الصحيح»** (٩/ ٢٢٥)؛ وأخرجه ابن ماجه في **«السنن»** (١/ ٦١٢ ـ ٦١٣) الحديث رقم (١٩٠٠) عن ابن عباس باختلافٍ يسير في اللفظ، وأخرجه الإمام أحمد في **«مسنده»** (٣/ ٩١) و (٤/ ٧٨).

مَـرّوا عَليـكِ العَـرَايِـسْ لابْسِـين ثيـاب البِيـضْ
خَشْخَشتِلَّـكْ بـالـذَّهَـبْ وكُـلْ مَـالُـو يـزِيـدْ
والعَـرِيـس والعَـرُوسْ يتْهَنُّـوا بلَيْلـة العِيـدْ

وفي الحديث الشريف: «فَصْلُ ما بين الحَلال والحرَام الدُّفُّ والصَّوْتُ»[1].

على أن يكون هذا بمقدار يسير، لا أن تَجْلِس النساء مِنْ أوَّل النهار إلى آخره، ثم يُواصِلْنَ الليل، فَهُوَ، وإنْ كان مُباحاً فطولُه حرامٌ.

وأما ما يحصل اليوم مِنْ إحضار المُسَجّلات، ومُكَبِّرات الصوت في الأعراس، مع حضور المُغَنِّين والمغنيات، والراقِصين والراقصات، فهذا نكاحٌ ملعونٌ من أول ليلة، لأن فيه السُّفُورَ، والاختلاط مع التبرّج والتَّعَرِّي وشُرْبِ الخُمور وهَتْكِ الأَعْراض.

* **خامساً: أشعارُ الجهاد:**

وهي الأشعار التي يُقَوِّي بها المسلمون أنفسهم على لِقاء عدوِّهم لرفع راية التوحيد والإسلام عند الملاحم؛ مثل الأناشيد الحماسِيَّة التي تثير الهمم أو ما يُعرَفُ اليوم بالأناشيد الوطنية.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه:

«أن النبيَّ ﷺ دخل مَكَّةَ في عمرة القضاء في العام السابع للهجرة لِيَعْتَمِرَ بعد صُلْح الحديبية الذي كان في العام ستة، وعبد الله بن رواحة يمشي بين يَدَي رسول الله ﷺ ويقول:

خَلُّـوا بنـي الكُفّـار عَـنْ سبيلِـهِ اليـومَ نَضْـرِبُكُـمْ علـى تَنْـزيلِـهِ
ضَـرْبـاً يُـزيـلُ الهـامَ عَـنْ مَقِيلِـهِ ويُـذْهِـلُ الخَلِيـلَ عَـنْ خَلِيلِـهِ

فقال له عُمَر:

يا ابن رواحة بين يدي رسول الله ﷺ، وفي حَرَم الله تقول الشِّعْرَ؟

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٣/٤١٨)، والترمذي في «السنن» (٣/٣٩٨)، والنسائي في «السنن» (٦/٤٣٧)، وابن ماجه في «السنن» (١/٦١١)، والحاكم في «المستدرك» (٢/١٨٤).

وأما قول هنري جورج فارمر في كتابه «تاريخ الموسيقى العربية حتى القرن الثالث عشر» الصفحة (٧٤) و ٨٦) من أن زواجه ﷺ من خديجة قد أحيي بالغناء وكذلك كان الأمر غند زواج ابنته فاطمة، نقل ذلك عن كتاب «الرحلات» ج ١ (٢) الصفحة (١٣ ـ ٢٢٦ ـ ٢٣٣ ـ ٢٣٤) لأولياء جلبي (ت ١٦٨٠م/ ١١٠٠هـ) وهو مرجع تركي متأخر ذكر أن عمرو بن أمية ذميري، ويسمى أيضاً بأبا عمر أو عَمْر عيار وهو صحابي ضرب على الدائرة (آلة عزف في زواج علي رضي الله عنه، مع عازفٍ آخر هو حمزة بن يتيم (يتيمة)، فلم أقف على هذا الكتاب، وأشك في قول فارمر لإيراده عبارات تدل على جهل مطبق بالشريعة كقوله في بلال بن رباح الحبشي مؤذن الرسول في الصفحة (٨٥) من كتابه «من أنه يُعد الآن شفيعاً لكل من يلبي الدعوة إلى الصلاة؟!..» وانظر رَدّ الدكتور ناصر الدين الأسد على إحدى ادعاءات فارمر الكاذبة في كتابه «القيان والغناء في العصر الجاهلي» الصفحة (٧٤ ـ ٧٥). وقدسبق ذلك في الصفحة (٥٧) من الرسالة عند نقد المصادر والمراجع.

فقال له النبي ﷺ: «خَلِّ عنه يا عُمَر، فَلَهِيَ أَسْرَعُ فيهم مِنْ نَضْحِ النَّبْل»[١]. وقد أخذ اللواء ابنُ رواحة في غزوة مؤتة بعد مَقتل زَيْدٍ وجَعْفَر، فقاتَل، فَأُصيبَ أَصبعَهُ فارتجز قائلاً:

يـا نَفْـسُ إن لا تَقْتُلِـي تمـوتـي ... هذه حِياضُ الموتِ قد صليتِ
ومـــا تَمَنَّيْـــتِ فقـــد لَقِيـــتِ ... إنْ تَفْعَلِـي فِعلهمـا هُـديـتِ[٢]

ثانياً ـ الشِّعْر المُحَرَّم:

تعـريفـه:

وهو عكس الأول أي ما كان في موضوعه بَذَاءةٌ، وفُحْشٌ، وقُبْحٌ، وخَنا، ودَعْوَةٌ إلى الفجور والرَّذيلة.

أقسامه:

خمـسة وهي:

* **أولاً: أشعار النِّياح على الأمْوات:**

مع التَّـسَخُّطِ على ربِّ الأرض والسماء، وكذا الندبة والدعاء بالويل والثبور.

قال ﷺ في حديث أنس: «ليس مِنّا مَنْ ضَرَبَ الخدود، وشَقَّ الجُيوبَ، ودَعَا بدعوى الجاهِلِيَّة»[٣].

وعن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال: «خلالٌ من خِلال الجاهلية: الطَّعْنُ في الأنساب، والنِّياحة ـ ونَسِيَ الثالثةَ».

قال سُفيان: ويقولون إنها الاستسقاء بالأنواء»[٤].

وقال ﷺ: «مَنْ نِيحَ عليه يُعَذَّبُ بما نِيحَ عليه»[٥].

---

(١) أخرجه الترمذي في «السنن» (٥/ ١٣٩)، (٤٤) ـ كتاب الأدب، (٧٠) ـ باب ما جاء في إنشاد الشعر، الحديث رقم (٢٨٧٤) وقال: حَسَنٌ غريب.
وأخرجه النسائي في «السنن»(٥/ ٢٢٢)، (٢٤) ـ كتاب مناسك الحج، (١٠٩) ـ باب إنشاد الشعر في الحرم والمشي بين يدي الإمام، الحديث رقم (٢٨٧٣).

(٢) ذكره ابن حجر في «فتح الباري» (١٠/ ٥٤١)، (٧٨) ـ كتاب الأدب، (٩٠) ـ باب ما يجوز من الشعر والرَّجز والحُداء وما يُكره منه.
ومن أمثال أغاني الجهاد المعاصرة أغنية: الله أكبر فوق كيد المُعْتدي.

(٣) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٣/ ١٦٣)، (٢٣) ـ كتاب الجنائز، (٣٥) ـ باب ليس منا مَنْ شَقَّ الجيوب، الحديث رقم (١٢٩٤) و (٣/ ١٦٦) الحديث رقم (١٢٩٨).

(٤) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٧/ ١٥٦)، (٦٣) ـ كتاب مناقب الأنصار، (٢٧) ـ باب القسامة في الجاهلية الحديث رقم (٣٨٥٠).

(٥) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٣/ ١٦١)، (٢٣) ـ كتاب الجنائز، (٣٣) ـ باب ما يكره من النياحة على الميت الحديث رقم (١٢٩١). قال الحافظ ابن حجر، والمراد بالكراهة، كراهة التحريم.

وفي حديث: «الميت يُعَذَّبُ في قبره بما نِيحَ عليه»[١].

* **ثانياً: أشعار السبّ والهجاء**

ما لم تكن بحقٍّ شَرْعِيّ أو مصلحة.

وقد ثبت عن نبينا ﷺ أنه قال لشاعره حسان بن ثابت الأنصاري يوم قُرَيْظة:

«اهجهم وجبريل معك»[٢].

وفي لَفْظٍ: «اهْجُ المُشْرِكينَ، فإنَّ جِبْريلَ مَعَك»[٣].

وأما ما ليس بحق شرعي ومصلحة للإسلام فحرام.

ومثل ذلك الأغنية التي تبثها الإذاعات ووسائل الإعلام وفيها الاعتراض على القضاء والقدر وهو الركن السادس من أركان الإيمان:

قَـــدَرٌ أَحْمَـــقُ الخُطـــا ..... .

* **ثالثاً: أشعار المَدْح والفخر:**

ما لم تكن بحقّ ولمصلحة شرعية أي دون مدح الإسلام وأهله.

* **رابعاً: أشعار تشبيه الخالِق بالمخلوق:**

كقول أحد الشعراء[٤] للمذل الذليل المُسَمَّى بالمُعِزّ لدين الله الفاطمي، الخليفة[٥]، المُتَخَلِّف، لعنه الله:

ما شِئْتَ، لا ما شاءتِ الأقدارُ واحْكُم فَأَنْتَ الواحِدُ القهّارُ

---

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٣/ ١٦١)، (٢٣) ـ كتاب الجنائز، (٣٣) ـ با بما يكره من النياحة على الميت، الحديث (١٢٩٢).

(٢) متفق عليه أخرجه البخاري في «الصحيح» (٦/ ٣٠٤)، (٥٩) ـ كتاب بدء الخلق، (٦) ـ باب ذكر الملائكة، الحديث رقم (٣٢١٣)، ومسلم في «الصحيح» (٤/ ١٩٣٣)، (٤٤) ـ كتاب فضائل الصحابة، (٣٤) ـ باب فضائل حسان بن ثابت رضي الله عنه الحديث رقم (٢٤٨٦).

(٣) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٧/ ٤١٦)، (٦٤) ـ كتاب المغازي، (٣٠) ـ باب مرجع النبي ﷺ مِنَ الأحزاب، الحديث رقم (٤١٢٤)، و (٤١٢٣) وانظر الحديث رقم (٦١٥٣).

(٤) وهو الشاعر محمد بن هانىء الأندلسي الذي اتهمه الأئمة بالكُفْر.

(٥) هو الخليفة العلوي، المعز لدين الله، أبو تميم، معدّ بن إسماعيل (المنصور بالله) بن محمد (القائم بأمر الله، أبو القاسم) ابن المهدي (عبيد الله العلوي الحُسَيْني، أبو محمد).

أُمُّه أم ولد. وقد حكم المُعِزُّ (٢٣) سنة وفي عهده بَنَى قائده مدينة القاهرة، وقد حكم سنتان في مصر والباقي بإفريقية، وهو أول الخلفاء العلويين، ملك مصر، وخَرَج إليها.

وقد مدح الشاعر المعز هذا عام (٣٦١هـ) عند مسيره من إفريقية إلى مصر، والبيت ذكره ابن الأثير في «الكامل في التاريخ» (٨/ ٦٢١).

* **خامساً: أشعار الغناء الماجن:**

وهو كلامٌ مَوْزونٌ مُقَفّى، موضوعه الفُحْش والبذاء والخنا والرّذالة.

وهذا هو الغِناء الماجِن شكلاً ومضموناً، كلمةً ولَحْناً وأداءً، ذلك الذي وصفه الحافظ ابن حجر العسقلاني:

«بأنه تمطيط، وتكسير، وتهييج، وتشويق بما فيه تعريض بالفواحش أو تصريح»[١].

وهذا لا يقول بإباحته إلاّ رُوّاد الإباحية والانحلال، وهو ينطبق على أغلب الغناء العَرَبي والغَرْبي اليوم[٢] وكَسْبُه حرامٌ بالإجماع «وهو الذي يُحَرِّكُ الساكنَ، ويَبْعَثُ الكامنَ، وهذا النوعُ إذا كان في شِعْرٍ فيه وصف محاسن النساء والخَمْر وغيرهما من الأمور المُحَرَّمة، لا يُخْتَلَف في تحريمه»[٣]. وذلك كأغنية «الدنيا كاس وسيجارة».

وكقول الماجِنين والماجنات في شوارع وإذاعات بيروت:

بَطَّلْـــت صـــومُ وصَلِّـــي بَـــدِّي اعْبُـــدْ سمـــاكِ
وعَلْجَنَّـــة مَنِّـــي رايِـــحْ وعَجْهَنَّـــمْ رايِـــحْ وراكِ

هذا يُقال في الإذاعات والشوارع... ويُقال بعزف والآت وتلحين.

هذا فِسْقُ أعداء الله، لكن لا يقتصر العتب عليه فحسب، بل على الذي جعله يُعْرِبِد في أرجاء الدنيا.

ومثل هذا الغناء ما نسمعه على إذاعات الـ F.M كقولهم:

مـا تْقِصِّـي التُّـورَهْ كْتِيـرْ ولا تَعَلِّيهـا بـالْمَـرَّهْ
ولا تْشِـدِّي عـالخَصْـر كْتِيـرْ بِتفْجِـرْ قُنْبُلْـةِ الـذَّرَّهْ

هذا ما سمعناه من أطفال لا تتعدى أعمارهم (٨) سنوات من أبناء المسلمين الغافلين أصلح الله حالهم. هذا هو الغناء، مَنْ سمعه يعلم أنه غناء موضوع فاحِش، بذيء، مُنْكر، قبيح، يَدْعُو للفجور، ويُحَرِّض النساء على الرجال، والرجال على النساء ويُغْري الناسَ بما حَرَّم اللَّهُ عليهم. وهذا لم يسمعه النبيّ ﷺ، وكان لا يخطر ببالِ أَحَدٍ مِنَ المسلمين أنه سيصل حالنا إلى ما يَنْدَى له الجبين.

إننا في إذاعاتنا نحارِبُ ربَّ الأرض والسماء.

---

(١) الحافظ ابن حجر العسقلاني «فتح الباري» (٢/ ٤٤٢).
(٢) انظر النماذج المختارة لمثل هكذا غناء في الفصل السادس من الرسالة: الترجيح بين الأدِلَّة، ضوابط الأغنية في الإسلام
(٣) الحافظ ابن حجر «فتح الباري» (٢/ ٤٤٢).

ت ـ الخلاصة:

وبعدُ، فهذا هو الشعر بِقِسْمَيْهِ المُباح والمُحَرَّم.

وقد ثَبَتَ هذا عن الحبيب المصطفى صلواتُ الله عليه حيث قال:

«الشعر كَلامٌ فَحَسَنُهُ حَسَنٌ، وقَبِيحُهُ قَبِيحٌ»[1].

وقد قال ﷺ: «إنَّ من الشِّعْرِ لَحِكْمَة»[2] وفي روايةٍ: «حِكَماً».

يقول ابن عبد ربه في كتابه **«العِقْد الفريد»**[3]:

«وبعدُ، فهل خلق اللَّهُ شيئاً أوْقَعَ بالقلوبِ، وأشدّ اختلاساً للعقول من الصوت الحسن، لا سيما إذا كان مِنْ وجْهٍ حسن كما قال الشاعر:

رُبَّ سمـــاعٍ حَسَـــنٍ سمعتـــه مِـــنْ حَسَـــنِ
مُقَـــرِّبٌ مِـــنْ فَـــرَحٍ مُبَعِّـــدٌ مِـــنْ حَـــزَنِ
لا فـــارقـــانـــي أبـــداً فـــي صحّـــةٍ مِـــنْ بـــدنـــي

وهل على الأرضِ رِعديدٌ مستطار الفؤاد، يُغنِّي بقول جرير بن الخطفى:

قُلْ للجبانِ إذا تَأَخَّرَ سَرْجُهُ هَلْ أنْتَ مِنْ شركِ المنيَّةِ ناجي

إلاّ ثابَ إليه روحه، وقَوِيَ قلبه؟

أم هل على الأرض بَخِيلٌ قد تفقّعت أطرافه لُؤْماً، ثم غَنَّى بقولِ حاتم الطائي:

يرى البخيلُ سبيلَ المالِ واحِدَةً إنَّ الجوادَ يَرَى في مالِهِ سُبُلا

إلاّ انبسطت أنامله، ورشحت أطرافه؟

أم هل على الأرضِ غريبٌ نازح الدار، بعيد المحل يُغَنِّي بشعر علي بن الجهم:

---

(١) نسبه الغَزالي في **«إحياء علوم الدين»** (٢/ ٢٧٣) للإمام الشافعي. انظر **«مختصر المزني»** الصفحة (٣١١) مختصر من كتاب الشهادات وقد اشتهرَ عنه كما قال الحافظ ابن حجر في **«فتح الباري»** (١٠/ ٥٣٩) وذكره ابن رشيق القيرواني في **«العمدة في محاسن الشعر»** الصفحة (١/ ٨٥). وأخرجه البُخاري في **«الأدب المفرد»** كما في **«فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد»** للجيلاني (٢/ ٣٢٤)، الحديث رقم (٨٦٥)، وعن أمنا عائشة الحديث رقم (٨٦٦)، كما أخرجه الدارقطني في **«السنن»** (٤/ ١٥٦) الحديث رقم (٤).

(٢) أخرجه البخاري في **«الصحيح»** (١٠/ ٥٣٧) الحديث رقم (٦١٤٥)، وابن ماجه في **«السنن»** (٢/ ١٢٣٥) الحديث رقم (٣٧٥٥)، وأحمد في **«المسند»** (١/ ٢٦٩، ٢٧٣، ٣٠٩، ٣١٣، ٣٢٧، ٣٣٢) و (٥/ ١٢٥)، والترمذي في **«السنن»** (٥/ ١٣٧) الحديث رقم (٢٨٤٤)، والدارمي في **«السنن»** (٢/ ٢٩٧)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٣/ ٤٤٣) و(٤/ ٢٥٤) و(٨/ ١٨) و(١٠/ ٣٤٩)، وأبو نعيم في **«الحلية»** (٧/ ٢٦٩)، ورواه الطبراني بِسَنَدٍ حَسَنٍ عن عبد الله بن عمرو في **«المعجم الأوسط»** كما رواه أبو يعلى في **«مسنده»** (٩/ ٤٢)، الحديث رقم ١٣٨ ـ(٥١٠٤)، وانظر الحديث رقم (١٠٤٧) و (٢٣٣٢) و (٢٥٨١)

(٣) ابن عبد ربِّه **«العِقْد الفريد»** (٧/ ٤ ـ ٥) من كتاب الياقوتة الثانية في علم الألحان واختلاف الناس فيه.

يا وَحْشَتا للغريب في البلد النـ ـــازحِ مـاذا بنفْسِـهِ صَنَعـا
فـارَقَ أحبـابَـه فمـا ٱنْتَفَعُـوا بـالعَيْـشِ مِـنْ بعـدِهِ ولا ٱنْتَفَعـا
يقـولُ فـي نَـأْيِـهِ وغُـرْبَتِـهِ عَـدْلٌ مِـنَ اللَّـهِ كـلُّ مـا صَنَعـا

إلاّ انقطعت كبده حنيناً إلى وطنه، وتشوّقاً إلى سَكَنِهِ؟».

وليس في إباحة الشِّعْرِ خِلافٌ، وقد قاله الصحابَةُ الكرام والعلماء، والحاجة تَدْعو إليه لمعرفة اللُّغَة العَرَبية والاستشهاد به في التفسير، فيه تعرف معاني كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ، وبه يُسْتَدَلُّ على النَّسَبِ وأيّامِ العَرَب.

وقد قال حَبْرُ هذه الأُمة ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: «الشعر ديوان العرب»[(١)].

وها هو الإمام ابنُ مالك، محمد بن عبد الله الطائي الجيّاني (ت ٦٧٢هـ) ينظم ألْفِيَّتَهُ الشِّعْرِيَّةُ لصيانة لغتنا العربية الجميلة وهي مشهورة، تناولها العلماء بالشرح، وما فَعَلَ ذلك إلاّ حِفاظاً على اللغة العربية حتى قالوا: كان بإمكان ابن مالك ألا يَتَكَلَّمَ إلا شِعْراً. . . .

رابعاً: تنزيه الله سبحانه وتعالى كتابه القُرآن عن الشعر لأنَّ أغلبه من النوع المذموم المُحَرَّم الذي لا يتناسب وأغراضَ القُرآن:

لكن لَمَّا كان الشِّعْر يُسْتَعْمَل غالِباً في النوع الثاني، أي فيما فيه بذاءة، ونكارة، وقبح، وفُجور، نَزَّهَ اللَّهُ القُرآن عن الشِّعْرِ فقال تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾﴾[(٢)].

خامساً: ونَزَّه اللَّهُ نبيه عن الشِّعر وذَمَّ الشُّعَراء إلاّ مَنْ آمَنَ منهم وعَمِل صالحاً:

فقال جلَّ وعلا: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾[(٣)] ومما يدل على حِفْظِ الله تعالى لرسوله من الشعر قوله ﷺ يوم حُنَيْن على ما رواه الإمام أحمد في «مسنده»[(٤)]:

أنـــا النبـــيُّ لا كـــذِب أنـــا ابـــنُ عبـــد المطلـــب

قالها ﷺ بكسر الذّال والصواب فَتْحها. وذلك لأن «أَحْسَنَ الشِّعْرِ أكذبه»[(٥)]. فالشِّعْرُ قائِمٌ على التَّخَيُّلاتِ، وأغراضُ القُرآن لا تتناسب مع أغراضِ الشِّعْرِ.

---

(١) القرطبي «الجامع لأحكام القرآن» (١/ ٢٤) وفيه: قال ابن عباس: إذا سألتموني عن غريب القُرآن فالتمسوه في الشعر، فإن الشعر ديوان العرب». وانظر «المغني» لابن قدامة المقدسي (٩/ ١٧٧) وابن رشيق القيرواني «العمدة في محاسن الشعر وآدابه» (١/ ٩٠)، (٢) ـ باب في الرد على من يكره الشعر.
(٢) سورة يسّ، الآية: (٦٩).
(٣) سورة الحاقة، الآيتان: (٤١، ٤٢).
(٤) رواه أحمد في «المسند» (٤/ ٢٨٠، ٢٨١، ٣٠٤).
(٥) ابن حجر «فتح الباري» (١٠/ ٥٣٨).

وليس في القرآنِ شِعْرٌ، وما عَلَّمَ اللَّهُ نبيَّنا ﷺ الشِّعْرَ «يُؤيِّدُ ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾﴾[1]»[2] أي الشُّعَراء حيث وصفهم الله تعالى فقال: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾﴾[3].

وقد استثنى الله المؤمنين الصالحين فقال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾[4].

سادساً: وقد حَذَّرنا نبينا صلوات الله عليه مِنَ الشِّعْرِ المذموم المُحرَّم:

بَوَّبه البخاري تحت عنوان ما يكره أن يكون الغالب على الإنسان الشعر حتى يصدَّه عن ذكر الله والعلم والقُرآن، فقال ﷺ:

«لأَنْ يَمْتَلِئَ جَوْفُ أحدكم قَيْحاً وصديداً حتى يَرِيَهُ[5]، خَيْرٌ له مِنْ أن يَمْتلِئَ شِعْراً»[6] أي مِنَ الشِّعر المُحَرَّم من الغناء، وهذا الحديث متواترٌ عن أحد عشر صحابياً.

سابعاً: وإذا قال الإنسان بيتاً من الشعر المُحَرّم بعد صلاة العشاء الآخرة لَنْ تُقْبَل له صلاة تلك الليلة.

فقد روى الإمام أحمد في «مسنده»[7]، والبزّار في «مسنده»[8]، والطبراني في «المعجم الكبير»[9] عن شداد بن أوس رضي الله عنه أنَّ النبـي ﷺ قال:

«مَنْ قَرَضَ بَيْتَ شِعْرٍ بعد صلاة العشاء الآخِرة لم تُقْبَل له صلاةٌ تلك الليلة». أي مِنَ الشِّعْرِ المُحَرَّم مِن شِعْرِ النوحِ والهجاءِ والمَدْح والشرك والغناء المُحرّم.

لكن اللئيم عن المكارم يشغل.

لَمَّا حاربنا الله في أول الليل، كَرِه انبِعاثنا في آخِرِ الليل فَثَبَّطنا وقال: اقْعُدوا مع القاعدين

---

(١) سورة الشعراء، الآية: (٢٢٦).

(٢) ابن حجر «فتح الباري» (١٠/٥٣٨).

(٣) سورة الشعراء، الآيتان: (٢٢٤، ٢٢٥).

(٤) سورة الشعراء، الآية: (٢٢٧).

(٥) قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (١٠/٥٤٨): قال الأصمعي: هو مِنَ الوَرْي بِوَزْنِ الرَّمْي...
قال أبو عبيد: هو أن يأكل القيح جوفه، قيل: أي يصيب رئته، فالرئة إذا امتلأت قيحاً يحصل الهلاك.

(٦) متفق عليه رواه البخاري في «الصحيح» (١٠/٥٤٨)، (٧٨) ـ كتاب الأدب، (٩٢) ـ باب ما يُكره أن يكون الغالِب على الإنسان الشعر حتى يصدّه عن ذِكر الله والعلم والقُرآن، الحديث رقم (٦١٥٤) و (٦١٥٥). ورواه مسلم في «الصحيح» (٤/١٧٦٩)، (٤١) ـ كتاب الشعر، الحديث رقم (٧، ٨، ٩) وفي الحديث (٩) سبب للحديث ولفظه: «بينا نحن نسير مع رسول الله ﷺ بالعَرْج، إذ عرض شاعِرٌ يُنْشِدُ، فقال رسول الله ﷺ: «خذوا الشيطان، أو أمسكوا الشيطان، لأن يمتلىء جوفُ أحدكم...» الحديث. وأخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٣/٨، ٤١).

(٧) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/١٢٥).

(٨) الهيثمي «كشف الأستار عن زوائد البزار» (٢/٤٥٤)، كتاب الأدب، باب النهي عن الشِّعْر بعد العشاء الحديث رقم (٢٠٩٤).

(٩) الطبراني «المعجم الكبير» (٧/٣٣٥) الحديث رقم (٧١٣٣).

وناموا مع النائمين.

وهذا الحديث زعم ابنُ الجوزي أنه موضوع[١]، لكن خلاصة ما ذكره ابنُ أبـي حاتم في **«العلل»**[٢] أنَّ هذا من كلام عبد الله بن عمرو، أي مَوْقوفاً عليه، والحديث فيه قَزْعة بن سُوَيد، وغاية ما قيل فيه أنه ضعيف.

وأورده الحافظ ابن حجر في **«لسان الميزان»** في ترجمة عاصم بن مخلد وقال: أورده أحمد في **«مسنده»** عن يزيد بن هارون، عن قزعة، واجترأ ابن الجوزي وذكره في **«الموضوعات»**[٣].

وقد اختلف كلام الحافظ ابن حجر في **«التقريب»**[٤] في هذا الرجل، فَحَكم عليه بأنه ضعيف، وحَكَم عليه في **«القول المسدد»**[٥] أن حديثه في درجة الحسن، وأورده الإمام الذهبـي في **«الكاشف»** فقال: مختلف فيه[٦].

ثامناً: لا تُكْتَبُ البـسملة في بداية دواوين الشعر المذموم:

بعد أن اتَّفَقُوا على أنَّ البـسملة تُكْتَب في بداية كل كتاب، نَصَّ أئمتنا على ألا يُكتب في بداية دواوين الشعر بسم الله الرحمن الرحيم.

وذلك لِما في الشعر مِنْ مُبالغات، ومُجازفات، وكذب، وتخرُّصات.

يقول القرطبـي في تفسيره **«الجامع لأحكام القرآن»**:

«اتَّفَقَتْ الأُمَّة على جواز كَتْبِها في أول كل كتاب من كُتُبِ العلم والرسائل، فإنْ كان الكتاب ديوان شعر، فَرَوَى مُجالد عن الشّعْبـي قال: أجْمَعُوا ألاّ يكتبوا أمام الشعر «بسم الله الرحمن الرحيم». وقال الإمام الزُّهري: مَضَتْ السُّنَّة ألا يكتبوا في الشعر «بسم الله الرحمن الرحيم».

وذهب إلى رسم التسمية في أول كتب الشِّعر سعيد بن جُبَيْر، وتابعه على ذلك أكثر المُتأخرين.

قال أبو بكر الخطيب: وهو الذي نختاره ونستحبه»[٧] انتهى كلام الإمام القرطبـي.

---

(١) ابن الجوزي **«الموضوعات»** (١/ ٢٦١). وابن الجوزي من المتشدِّدين في الجرح. انظر **«الرفع والتكميل»** للكنوي الصفحات (٣٠٨ ـ ٣٣٢). والصواب في درجة الحديث أنه ضعيف.

(٢) ابن أبـي حاتم **«علل الحديث»** (٢/ ٢٦٣).

(٣) ابن حجر **«لسان الميزان»** (٣/ ٢٢١) وانظر (٤/ ٤٦).

(٤) الحافظ ابن حجر العسقلاني **«تقريب التهذيب»** (٢/ ١٢٦) ترجمة (١١٠).

(٥) الحافظ ابن حجر العسقلاني **«القول المُسَدّد في الذبّ عن مسند أحمد»** الصفحة (٧٥).

(٦) الإمام شمس الدين الذهبـي **«الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة»** (٢/ ١٣٧) ترجمة (٤٥٧٧).

(٧) القرطبـي **«الجامع لأحكام القرآن»** (١/ ٩٧) وانظر ابن رشيق القيرواني **«العمدة في محاسن الشعر وآدابه»** (٢/ ١٠٨١)، (١٠٣) ـ باب حكم البـسملة قبل الشعر.

نقول:

وإذا كان الشعر كالكلام فَحَسَنُهُ حَسَنٌ، وقَبِيحُهُ قَبِيحٌ، وقد ثَبَتَ هذا عن النبي ﷺ واشْتُهِرَ عن الإمام الشافِعِيّ رحمه الله وغيره، فينبغي أنْ نُعْطِي الشِّعْر حُكْم الكلام الآخر: فإذا كان موضوع الشعر مُباحاً فلا مانِعَ مِن افتتاحِهِ بالبسملة وكتابتها في بدايته، وإذا كان موضوعه مذموماً قبيحاً يَحْرُمُ أن نكتب بسم الله الرحمن الرحيم في بدايته، لأنَّ هذا فيه اسْتِهَانَةٌ باسم الله سبحانه وتعالى.

obeikandl.com